صالح الورداني

الشيطان يسكن مصر

كتب في عهد مبارك

رقم الإيداع: 20474/2011
الترقيم الدولى: 9 ـ 65 ـ 5751 ـ 977
الطبعة الأولى
بيروت
1432 هـ ـ 2009 م
الطبعة الثانية
القاهرة2011م

saleh alwerdani @ yahoo. com
Saleh 1294 @ hot mail
Httpwww.weghah.com

من كل لون فيكي يا مصر
اللي بنى هرم واللي بنى قصر
واللي عمل باشا وسلطان عصر
واللي مملوك وعمل فيكى حر
والترك اللي دوقوكي المر
واللي عمل طريقة وهات يا ذكر
واللي شوه تاريخك وقال ده فكر
واللي نهب مالك وقال ده فقر
واللي كسر شوكتك وقال ده نصر
واللي عرى حريمك في عز الضهر
واللي شرد ولادك في البر والبحر
وانتي يا بلد خيرك ما لوش حصر
شيطانك يا مصر عايش في قصر
وشعبك دايماً تحت الصفر

كان حسين يؤمن دائماً أن أزمة مصر تكمن في شعبها لا في حكوماتها..

من هنا كان يعانى كثيراً من حالة اللامبالاة التي تسيطر على الشخصية المصرية، تلك الحالة التي فتحت الابواب على مصارعها للحكام كي يتحولوا إلى فراعنة..

ونتيجة لهذه المعاناة قرَّر أن يعتزل الناس في مكانٍ بعيد عن مدينته القاهرة التي نَشأ وتربّى فيها بعد أن ضاق بكلِّ شيءٍ حوله..

كانت مهنة حسين هي الكتابة و قد حملته هذه المهنة الكثير من المتاعب والآلام..

متاعب مع الحكومة التي وضعته في القائمة السوداء وقامت باعتقاله عدة مرات..

ومتاعب مع خصومه من الإسلاميين والمثقفين الذين لم يستطيعوا تحمُّل آرائه ومواقفه..

وحتى متاعب مع أصدقائه ومعارفه الَّذين كانوا يخافون منه ويفهمون آراءه على وجه الخطأ..

كتب حسين العديد من الأفلام والمسرحيات والمسلسلات التلفزيونية ولم يجد صدىً لكتاباته..

وكتب في السياسة والتاريخ فكسب المزيد من الأعداء..

ثمَّ تخصَّص في الإسلاميات فكتب عن التيارات الإسلامية وانتقد سيادة العقل الروائي، وسيطرة عقل الماضي والحالة المذهبية السائدة وسط المسلمين..

وهو ما أدى إلى إعلانَ الحرب عليه من قِبَلِ الأزهر والتيارات الإسلامية، ومن قبل جهاز أمن الدولة الذي عجز عن ترويضه واستخدامه..

كان حسين يتمتع بميزة هامَّة وهي امتلاكه إرادةً حُرَّةً وعدم التزامه بعمل حكومي، فقد كان متفرِّغاً للكتابة ولا يهتم بالمال ويعيش متقشِّفاً، وفوقً هذا كان حرَّ الحركة، يتنقَّل بين ربوع مصر يرصد ما يجري من حوله، ويدون مشاهداته ويسجل ملاحظاته..

ولم يكن يملك رصيداً في البنك أو سيارة أو شقة، أو حتى زوجة وأسرة من الممكن أن تشكل ضغطاً عليه..

كل ذلك جعل العديد من أصدقائه يحسدونه على ما يتمتع به من حرية وما يملك من إرادة حرة لا يملكونها هم أو لا يستطيعون امتلاكها..

وهذه الميزة كانت تتيح له القدرة على الصمود في وجه الضغوط، ومن جهةٍ أُخرى كانت تشكِّل معوِّقاً أمام جهاز الأمن الذي كان يبحث له عن ثغرة أو نقطة ضعفٍ يستخدمها في الضغط عليه..

وقد ارتبط الكثير من المثقفين والإسلاميين والسياسيين المصريين المعارضين والمؤيدين للحكم بالعديد من الجهات الخارجية، وتربحَّوا من وراء هذا الارتباط، وذلك بعلم جهاز الأمن الذي كان يقوم بالتلويح بهذه الارتباطات أمامهم ما بين الحين والآخرحتى لا يتجاوزا الخط المرسوم لهم..

أما حسين فلم يكن موضع اهتمام الجهات الخارجية، لكونه لا يصلح لتحقيق أغراض هذه الجهات، ولكونه يملك شخصية فكرية مستقلة تجعل من الصعوبة ترويضه ليعمل لحساب أي جهة..

لقد دخل الآن منتصف الخمسينيات وأدت به حالة المعاناة والتجارب الطويلة بالإضافة إلى الآلام التي عاشها إلى التوقُّف للمراجعة..

المراجعة مع نفسه..

والمراجعة مع واقعه..

من هنا قرر الاعتكاف لإعادة قراءاته حول مصر والواقع المصري والتي وصل فيها إلى رؤية تبدو متطرِّفة في نظر البعض..

وتبدو موضوعية في نظر آخرين..

دعونا إذن نتعرَّف على تجربة حسين ونلقي الضوء على هذه القراءة الجديدة لمصر والمصريين من خلال هذه السيرة..

■■■

1
الفرعون الأول

عاش حسين فترة الفراعين الثلاث: عبد الناصر والسادات ثم مبارك..

وفي كل فترة من فترات هؤلاء الفراعين حمل الكثير من الطموحات والكثير من الأوجاع والآلام..

في الفترة الأولى كان كباقي أبناء جيله الذين فُتنوا بعبد الناصر وعاشوا أحلامه، ثم جاءت هزيمة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ لتكشف لهم أنَّ هذه الفترة كانت أشبه بالسراب، وأنَّ هذا الجيل تربّى على الأكاذيب والشعارات الزائفة..

جاءت هزيمة حزيران لتثبت أنَّ عبد الناصر لم يكن سوى رجلٌ كان يصيح في فراغ ودون حساب لقوَّته وحجمه، بل دون حساب لقدرات معاونيه وإخلاص رجاله لتلك المبادئ التي كان يرفعها..

والأدهى من ذلك والأمرّ أنَّ تلك الهزيمة كشفت أنه كان بلا سلطة وأنَّ السلطة كانت بيد شريكه عبد الحكيم عامر زئر النساء، أو الرجل الثاني في الظاهر بينما هو في الحقيقة كان الرجل الأول..

وهو ما دفع بعبد الناصر نتيجة لكثرة مغامرات شريكه وفضائحه إلى طرد مطربة جزائرية كان على علاقة بها من مصر، والتي عادت لممارسة نشاطها فيها بعد وفاته..

كذلك اضطر شريكه وبضغط من عبد الناصر إلى الزواج من ممثلة سينمائية كان على علاقة بها وانجب منها ولداً، وقامت هذه الممثلة بنشر مذكراتها مع شريكه فيما بعد في عصر السادات..

وعبد الناصر كان يعلم جيداً أنَّ شريكه في الحكم من عُبَّاد الجسد وأنه لا يملك القدرة أو الكفاءة على قيادة الجيش وحماية الوطن، وأنه لم يحقِّق نصراً عسكرياً واحداً بل هزائم متكرِّرة، لكنه كان كباقي حكام مصر الذين ملكوها لا حكموها واستخفُّوا بشعبها، كما هو حال من سبقوه من الحكَّام..

ومن صور هذا الاستخفاف إطلاق الإعلام المصري المضلِّل عليه اسم (ناصر) وإطلاق كلمة (نصر) على كلِّ مرافق الحياة في مصر من شركات ومؤسسات ومنتجات وخلافه ليصبح الجميع يتغنَّى بأمجاده ويموِّه على هزائمه ونكباته..

كان عبد الناصر من عائلةٍ فقيرة فمِنْ ثمَّ كان حاقداً على الطبقات العليا في مصر من الباشاوات والبكوات وأصحاب رؤوس الأموال..

وقيل أنَّ والده كان متزوجاً من امرأتين:

الأولى مسلمة..

والثانية يهودية..

وكان عبد الناصر من الأم الثانية..

وقد فجر قضية الأم اليهودية صحفي مصري كان يقيم في الكويت في أواخر السبعينيات، ويدير مجلة أسبوعية هناك، كتب فيها مقالة افتتاحية عن تاريخ أسرة عبد الناصر، وعلى غلافها صورته وتحتها عنوان يقول: **عبد الناصر من هي أمه ولماذا هي غامضة..؟**

وبمجرد علم حسين بهذا الخبر قرر الذهاب لحارة اليهود بالقاهرة القديمة لرؤية البيت الذي يقال أن عبد الناصر ولد فيه، وما أن وصل إلى البيت حتى وجد أعلاه نجمة داوود، لكنه لم يجد فيه سوى امرأة يهودية عجوز، كان قد أصابها الضجر بسبب كثرة الزائرين للبيت والسؤال عن سكانه..

وتبين له أنه لم يكن أول الوافدين على هذا البيت وأنه ليس أول الباحثين عن والدة عبد الناصر..

ولعل نشأة عبد الناصر الفقيرة هي التي دفعته حين تسلم السلطة إلى إعلان تذويب الفوارق بين الطبقات، وفتح الأبواب على مصارعها للتعليم المجّاني أو التعليم العشوائي كما كان يسميه حسين دائماً، وتأميم المصانع والشركات الكبرى لتنتهي الطبقات العليا وتحل مكانها الطبقات الدنيا، ويفر أصحاب رؤوس الأموال إلى الخارج، لم يكن عبد الناصر يدري أنه بهذه القرارات قد جنى على مصر والمصريين..

ولم يكن يدري أيضاً أن مصر طوال تاريخها كما ذكرت المصادر التاريخية تتكون من خليط متنافر، من العرب والقبط والأكراد والأحباش والأرمن واليونان والشوام والترك والسودان، وغيرهم من الأجناس والواجب هو انتقاء الشريحة الصالحة من بينهم..

كان تذويب الفوارق بين الطبقات وفتح الأبواب على مصارعها للتعليم المجاني، قد أتاح الفرصة لأبناء الفلاحين المهمشين في الفترات السابقة، والطبقات الدنيا للعلو على حساب الكفاءات، التي تمَّ القضاء عليها لمجرد أنها من الطبقات العليا أو من المخالفين، بل أتاح الفرصة لهؤلاء للبطش بهم وتفريغ عقدهم فيهم..

لم يرحم عبدا لناصر أحداً حتى أعوانه..

بدأ باللواء محمد نجيب أول رئيس مصري (١٩٥٢-١٩٥٤م) الذي اتخذه ضباط (يوليو) واجهة لهم وكان على صدام دائم معه ووضعه تحت الإقامة الجبرية طوال فترة حكمه..

ولما اغتيل ابن محمد نجيب في الخارج قيل أن المخابرات المصرية هي التي اغتالته بتدبير من عبد الناصر..

ثم أغلق نقابة الأشراف التي كان لها بصمتها البارزة في تاريخ مصر وأفرزت الكثير من الرموز والقيادات الفاعلة..

ولم يرحم الباشا الذي توسط له في دخول الكلية الحربية التي كانت محظورة على أبناء طبقته..

وحتى رفاقه من الضباط الذين عارضوه قرر تنحيتهم وعزلهم محتفظاً بالسادات وأمثاله ممن لا وزن لهم ولا رأي، مما زاد من قوة شريكه زئر النساء الذي دخل معه في صدام مباشر بعد هزيمة حزيران التي سهلت له التخلص منه..

وتبدو قسوة عبد الناصر بوضوح في تعامله مع الأحزاب والكفاءات والقيادات العسكرية القديمة، وبدلاً من أن يستثمرها لصالح مصر قرر تدميرها ومحوها من الوجود..

وتبدو قسوته أيضاً في تعامله مع الإخوان المسلمين الذين كان يوماً ما واحداً منهم، إذ قرَّر تصفيتهم وتشريدهم في الأرض ليلقوا بأنفسهم في أحضان خصومه..

كان حادث المنشية أو محاولة اغتيال عبد الناصر الذي وقع في الإسكندرية بتاريخ٢٦/١٠/١٩٥٤م هو الورقة التي استخدمها لتصفية

الإخوان وكسب تعاطف الشعب المصري الساذج وإعلان نفسه كزعيم للمصريين..

وحادث المنشية فيه لغط كثير وشك أكبر..

عبد الناصر اتهم الإخوان بتدبيره..

والإخوان أنكروا صلتهم به واعتبروه لعبة من ألاعيبه لتبرير تصفيتهم وإزاحتهم من طريقه..

إلا أن عبد الناصر لم يكن ليتمكن من القضاء على الإخوان الذين كانوا يسيطرون على الشارع المصري حينئذ وحده، إنما مكنته من سحقهم طبيعة المصريين التي تقف بجوار الحاكم ولو كان ضعيفاً وتتخلَّى عن الصدام معه ولا تقف مع معارضيه ولو كانوا أقوى منه وهذه هي النقطة التي غابت عن الإخوان أثناء صراعهم مع عبد الناصر..

والذي حل بالإخوان على يد عبد الناصر كان صورة أكبر حجماً مما حل بالبرامكة على يد هارون الرشيد..

وما يجب ذكره هنا هو أنه لا عبد الناصر ولا رفاقه كانوا يملكون الخبرة أو الكفاءة لحكم مصر، فقد كانوا مجرد مجموعة من العسكريين الصغار حتى خبرتهم العسكرية كانت محدودة، ومثل هؤلاء لا يمكن لهم أن يحكموا في ظل المناخ الذي كان سائداً في مصر آنذاك..

وهو ما دفع بعبد الناصر إلى تبديل هذا المُناخ والإسراع في تكوين طبقة جديدة من المثقفين الموالين والعمال والفلاحين، لتحلَّ محل الطبقات القديمة، ونسى أو تناسى أنَّ هذا المُناخ هو الذي أوجده وأتاح له فرصة الوصول للحكم..

من هنا أتاح عبد الناصر الفرصة كاملة للمؤسسة العسكرية لتحكم مصر، مما أدى إلى سيطرة الضباط الصغار، الذين تم تكبيرهم على يديه على الوزارات والمؤسسات والمحافظات والأحياء والنوادي الرياضية، وحتى الجمعيات الأهلية، ولا تزال هذه السنة باقية حتى اليوم..

ومثل هؤلاء الضباط وغيرهم هم الذين تسلموا الشركات والمؤسسات التي أممها أو صادرها فقادوها إلى الوراء، وتسببوا في إفلاسها لتصبح عبئاً على الدولة، التي استمرت في دعمها من باب ستر النهج الاشتراكي حتى جاء السادات فقرر التخلص منها وبيعها..

لم يكن عبد الناصر يريد عقلاء أو نابهين أو أصحاب قدرات وخبرات سياسية أو اقتصادية، فهؤلاء كانوا من الطبقات والاتجاهات الأخرى التي كان يكرهها، إنما كان في حاجة إلى أنصار ومؤيدين ولو كانوا أغبياء منافقين، وقد أتاحت مجانية التعليم وتذويب الفوارق بين الطبقات الفرصة لتكاثر أمثال هؤلاء، الذين أسهموا ولازالوا يسهموا في خراب مصر ودفعها إلى الوراء، ونتيجة لسياسة عبد الناصر هذه برز مثل مبارك الذي يعد أسوأ من حكم مصر عبر تاريخها القديم والحديث..

كان عبد الناصر يرفع شعاراً يقول: **ارفع رأسك يا أخي..**

وكان الشعب يتهكَّم عليه قائلاً: **ارفع رأسك يا أخي كي نقطعها..**

وحاول عبد الناصر أن يفرض زعامته على العرب من خلال الوحدة مع سوريا، لكنه فشل فشلاً ذريعاً ببركات شريكه، ولكونه أراد أن يعامل السوريين كما يعامل المصريين الخانعين له المفتونين به..

وتآمر على عبد الكريم قاسم في العراق الذي كان يهدد زعامته كما تآمر من قبل على الإمام البدر في اليمن، وحاول مد ذراعه في إفريقيا،

وكل ذلك جاء على حساب مصر وشعبها الذي لا يجد قوت يومه، ويعيش في عزلة عن السياسة بل لا يمارسها من الأصل..

وكانت الصحف الرسمية خاصة صحيفة الأهرام التي رأس تحريرها هيكل طوال الفترة الناصرية تخرج على القراء كل يوم بعناوين ضخمة عن لوممبا وتيتو ونهرو وجيفارا..

وهيكل الذي كان لصيقاً بعبد الناصر في تلك الفترة ثم لم يعد له دور في أيام السادات، أصبح تاجراً كبيراً في عالم الصحافة بواسطة الوثائق والمعلومات التي جمعها طوال فترة عمله مع عبد الناصر، والتي أخذ يسوقها في كل مكان وجمع الأموال الطائلة عن طريقها ليدخل ببركاتها عالم المليونيرات..

ولازال حسين يذكر يوم سقط عبد الكريم قاسم ونشرت الأهرام صفحة كاملة لصوره بعد مصرعه وهم يمثلون بجثته..

لازال يذكر هذه الصور البشعة التي كان نشرها أمام المصريين دليل على حقد عبد الناصر على قاسم والتشفي فيه..

وكان في مقدور عبد الناصر لو اهتم بمصر واستفاد من قدراتها واستثمر كفاءاتها، أن يضعها في مصاف الدول البارزة والفاعلة في المنطقة والعالم، بدلاً من أن يحولها لدولة مخابرات تكشر عن أنيابها في وجه الجميع، ولا ترحم أحداً من الشرفاء أوالمعارضين أصحاب الرأي..

إلا أنه أصابه غرور الزعامة في فترة لم يكن فيها من ينافسه في زعامة المنطقة، وظن أن لن يقدر عليه أحد، ووجه إعلامه نحو العرب ليوهمهم بعبقرية المصريين وقوة وذكاء المخابرات المصرية فجاءت صفعة

حزيران لتلقنه درساً قاسياً، وتدفع به نحو الاستقالة لكن سذاجة المصريين الذين اندفعوا في الطرقات يهتفون: **لا تتنحى لا تتنحى** حالت دون ذلك..

وفى الوقت الذى كانت فيه إسرائيل تعد العدة لتلقينه هذا الدرس كان عبدالناصر مشغولاً بالجمع بين أم كلثوم وعبدالوهاب لينتج لنا فى النهاية أغنية «**أنت عمرى**».

وعلى الرغم من هزيمته وعودته للحكم بواسطة المصريين الذين استخف بهم، لم يتعظ من هذا الدرس، ولم يراجع نفسه ويتخلى عن سياسته الفاشلة على مستوى الداخل والخارج، وشغل المصريين وألجم ألسنتهم بشعاره الذي رفعه وقتها: **لا صوت يعلو فوق صوت المعركة**..

وكان عبد الناصر قد فتح مصر على مصارعها للفلسطينيين الذين كانوا يتقاضون إعانة شهرية قدرها عشرة جنيهات بالإضافة إلى مميزات أخرى مثل التعيين في الدوائر اوالمدارس الحكومية..

وقد تتلمذ حسين على يد واحد من هؤلاء الذي كان من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية..

وكان يشارك في اجتماعاتهم ولقاءاتهم رغم صغر سنه، تلك الاجتماعات التي كانت تضم العديد من العناصر المتزعمة لحركات فدائية آنذاك..

وفي ظل هذا الوضع تمكن حسين من السفر إلى الأردن وهو في سن السابعة عشر عن طريق جواز سفر مزور..

وهناك انتمى لصفوف حركة فتح وأصبح من مقاتليها، وشارك في الحرب بين المنظمات الفلسطينية والجيش الأردني عام ٧٠، التي عرفت بأيلول الأسود ونجا من الموت بأعجوبة، ثم عاد لمصر وتكررت رحلاته بعد ذلك إلى سوريا ولبنان..

كان حسين يحب الإقامة في الفنادق الشعبية بجوار دمشق القديمة، وفي هذه الفنادق كان يلحظ تواجد الكثير من النساء المصريات ولا يعرف سبب تواجدهن، كذلك كان يرى الكثير منهن في فنادق وملاهي بيروت وخاصة في شارع الحمراء..

لم يكن يعلم أن تلك النسوة هم جزء من شبكات الرقيق الأبيض التي تمكنت من اصطياد آلاف الفتيات المصريات، الباحثات عن لقمة العيش والهاربات من الضنك والحرمان أيام عبد الناصر..

وهو ما كان يدفع بالشباب المصري نحو أوربا للعمل هناك في غسل الأواني بالفنادق والخدمة في المطاعم، وبيع الصحف في الطرقات وتنظيف الشوارع وغيرها من المهن الوضيعة..

كان ذلك في أواخر الستينيات التي برز فيها القذافي ملقياً نفسه في أحضان عبد الناصر، الذي اعتبره الأب الروحي له، إلا أن هذا الأب لم يدم له وتوفى بعد حوالي العام أو مات مسموماً كما قيل..

■■■

2
الفرعون الثانى

عندما جاء السادات حاول أن يتخلَّص من تبعة عبد الناصر ويمحو اسمه من أذهان المصريين، بعد أن بدأ عهده بتمجيده والثناء عليه، وأخذ يردد في خطبه الأولى عنه: **أُستاذي ومعلِّمي**..

وكان أكثر فهماً للشخصية المصرية المكبوتة التي تعاني الحرمان فأعلن الانفتاح على الخارج، وخفف القيود على الصحافة والإعلام والعمل السياسي، ليندفع المصريون في عهده نحو الخارج، ونحو الترفيات التي حرموا منها في الماضي، مثل المسجلات والفيديو والبيبسي والسفن أب والبضائع المستوردة..

كان السادات يعلم أن الشخصية المصرية آخر حدودها الكلام ففتح لها الأبواب من أجل التنفيس ليس إلا..

ورفع شعار: **دولة العلم والإيمان** وقرَّر اللعب بالورقة الإسلامية مخالفة لعبد الناصر الذي لعب بالورقة القومية..

وعاد التيار الإسلامي الذي يكن كراهية شديدة لعبد الناصر على يديه بعد إخراج الإخوان من المعتقلات، ومنحهم حرية مقاضاة الدولة والحصول على تعويضات، ليبرزوا على الساحة بقوة دون أن تكون لهم الصفة الشرعية..

وعادت فلولهم من الخارج حاملة إمكانيات هائلة مكَّنتهم من التغلغل في الواقع وتثبيت أقدامهم على ساحته..

ويبدو أن السادات أراد أن يكفر عن ذنبه في حق الإخوان المسلمين بعد أن كان من المشاركين في محاكمتهم عام ٥٤..

وخرج مع الإخوان أيضاً تيار القطبيين المتبني لأفكار سيِّد قطب الذي أعدمه عبد الناصر في منتصف الستينيات، تلك الأفكار التكفيرية المتطرِّفة والمناقضة لأفكار حسن البنا مؤسس الإخوان..

وخرج أيضاً تيار ثالث كان أقلُّهم شأناً ووزناً وهو تيار التكفيرالذي كان قد تولد من خلال أفكار قطب..

وبالإضافة إلى هذا برز التيار السلفي الوهابي بقوة على الساحة والذي كان مجرماً أيام عبد الناصر بعد أن تصالح السادات مع السعودية..

وانجذب حسين للتيار الإسلامي واندمج مع الجماعات الإسلامية التي كانت لا تزال في مهدها..

وأصبح بما يحمل من خبرة ورصيد ثقافي متميزاً على أفرادها الذين كانوا أغلبهم من طلاب الجامعات والحرفيين..

وكان تميز حسين على عناصر هذه الجماعات قد حال بينه وبين التآلف معها والاندماج في صفوفها، فقد كانت هذه الجماعات لا تريد أصحاب العقول والنابهين بين صفوفها، بل تريد ضعاف العقول والعناصر القاصرة والسوقة الذين يمكن اللعب بعقولهم..

وكانت لحسين العديد من العلاقات بالعناصر العربية المقيمة في مصر لغرض الدراسة من العراقيين والخليجيين، كما كانت له علاقات بعناصر أخرى من التيارات غير الإسلامية والوسط الفني..

ولأجل هذه العلاقات وتركيبته الخاصة وجه عناصر الجماعات له الكثير من الاتهامات..

من هذه الاتهامات تهمة العمالة للحكومة..

وتهمة فساد العقيدة..

جاءت التهمة الأولى من خلال الأفكار الجريئة التي كان يطرحها لتطوير الجماعات والنهوض بها، تلك الأفكار التي كانت تتناقض مع الأفكار السلفية التي تعتنقها..

دعا حسين إلى العيش بعقل الحاضر ونبذ عقل الماضي الذي يهيمن على تصور هذه الجماعات..

واعتقدت الجماعات أن وراء هذه الأفكار جهات معادية تتآمر على الإسلام، وأن حسين ما هو إلا مردد لأفكار هذه الجهات..

وجاءت التهمة الثانية من خلال نقده الدائم للأطر الفكرية لهذه الجماعات، والتي كانت تعد في منظوره مجرد أفكار من صنع فقهاء الماضي، ليس هناك ما يدعمها من النصوص الصريحة..

بينما كانت هذه الأفكار تعد في منظور الجماعات من العقائد التي أجمعت الأمة والسلف عليها..

واكتشف حسين أن هذه الجماعات قد استقطبت الكثير من السوقة والباعة والعوام الباحثين عن حيثية ومكانة اجتماعية بواسطة الدين، وقد حصلوا عليها بالفعل، إذ تمكنوا عن طريق الانتماء إلى صفوفها من الارتقاء فوق طبقات كثيرة، ما كانوا ليحلموا أن يتجاوزوها أو يتساووا بها..

وحصل العديد من هؤلاء على رتبة أمير وشيخ وداعية مكنتهم من الزواج بطبيبات ومهندسات ومعلمات، ما كانوا يحلمون بمجرد الحديث

معهن، وكان ذلك تطبيقاً للحديث النبوي الذي يقول: «**أظفر بذات الدين تربت يداك**»..

ولم يستطع حسين صاحب العقل والثقافة من أن يظفر بامرأة واحدة من النساء اللاتي تم استقطابهن لهذه الجماعات، بل شعر في النهاية أن كل ما يجري أمامه هو صراع دنيا لا دين..

ونتيجة لهذه المواقف انسحب حسين من وسط الجماعات خاصة بعد أن ارتفعت حدة الصدامات فيما بينها على ساحة الجامعة في الإسكندرية والقاهرة وجامعات الصعيد وأماكن أخرى..

وقامت جماعة التكفير بالاعتداء على العديد من خصومها والمنشقين عنها ومحاولة تصفيتهم جسدياً، ثم قامت باختطاف الدكتور محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف حينذاك وقتله..

ومع بروز جماعة الجهاد ازدادت حدة الصراع على الساحة الإسلامية في مصر، بين هذه الجماعة والجماعات المناهضة لها من الإخوان والسلفيين، وبين هذه الجماعة ورجال الأمن..

وتجاوزت هذه الجماعة الإسلاميين المخالفين ورجال الأمن لتعتدي على الكنائس والمسيحيين، لتزداد حدة التوتر بين السادات والتيار الإسلامي، وجاءت رحلة السادات إلى إسرائيل وعقده معاهدة السلام معها، لتكون السبب المباشر في تفجير الصراع بينه وبين التيار الإسلامي والمعارضة..

إلا أن السياسة وإسرائيل لم تكن الهم الأكبر للجماعات الإسلامية، فقد كانت الحالة العلمانية التي صبغت نظام حكمه تمثل الاستفزاز الأكبر لها، خاصة أنها تتناقض مع شعار العلم والإيمان الذي رفعه في

بداية حكمه، كذلك كانت تستفزها القوانين الوضعية وحالة المرأة وتبرجها في الطرقات..

وسافر حسين وقتها إلى الكويت ليعمل في أحد الصحف هناك وعاد في أواخر عام ١٩٨٠، حيث كانت الأمور قد وصلت بين السادات والجماعات الإسلامية والمعارضة إلى ذروتها..

ولم يستطع السادات أن يحتمل نتائج الحريات التي سمح بها منذ بداية عصره، فقد أحس بالخطر من جهتها كما أحس بالخطر من قبل بعض قيادات الجيش، وعلى رأسهم الفريق بدوي الذي تخلص منه مع عدد من رفاقه في حادثة الطائرة العمودية التي احترقت بهم في الجو وقيل وقتها أن الحادث كان قضاءاً وقدراً..

إلا أن الحقيقة كانت عند قائد الطائرة الذي قفز منها قبل احتراقها وكان الناجي الوحيد في الحادث..

ولم ينتبه أحد لصيحات عائلة بدوي التي اتهمت السادات بقتله كما لم ينتبه أحد إلى أن بدوي ورفاقه كانوا قد وضعوا داخل الطائرة وهم في عداد الأموات..

وأحس السادات بالخطر أكثر من جهة الجماعات الإسلامية التي فتح لها الأبواب على مصارعها كي تساعده في استئصال معارضيه..

وتبين له أن هذه الجماعات سعت لتثبيت أقدامها على ساحة الواقع، وتحريك القاعدة الشعبية من أجل المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة دولة الخلافة، ولم تقم بدورها في القضاء على خصومه كما أراد، بل دخلت في صدام معه من أجل تحقيق هذا الهدف..

وفي فترة السادات استغل المصريون فرصة الانفتاح وفروا نحو دول الخليج وليبيا والعراق والأردن..

في ليبيا التي كانت تسودها الأمية والبساطة تعامل الليبيون مع المصريين بحسن نية زائد عن الحد، ثم انقلبوا عليهم حتى أدى الأمر إلى خروج مظاهرات تطالب بإخراجهم من ليبيا وترفع لافتة تقول: **أخرجوا من بلادنا أيها الفواله..**

وقد رأى حسين بنفسه هذه المظاهرات عندما كان هناك في أوائل السبعينيات، تلك المظاهرات التي يعود سببها إلى كثرة الجرائم التي ارتكبوها وصور النصب والاحتيال، بالإضافة إلى استدراج الشباب الليبي نحو الرذيلة..

وهو ما حدث في العراق أيضاً على يد المصريين الذين تكاثروا فيها تكاثر البعوض حتى خرجت مظاهرات تطالب بإخراجهم منها..

إلا أن رد فعل العراقيين كان عنيفاً جداً فقد أعادوا الكثير منهم إلى مصر محمولين على الأعناق إلى مثواهم الأخير..

البعض منهم تم إعدامه بسبب جرائم ارتكبها..

والبعض الآخر قتل على يد العراقيين من باب الانتقام..

بالإضافة إلى من قتل إلى جانب العراقيين في الحرب العراقية الإيرانية..

لكن المصريين في الكويت كانوا أكثر خوفاً وانضباطاً وذلك لأن الأجور فيها أعلى والوصول إليها أصعب..

من هنا كان المصري الذي يتمكن من دخول الكويت يحرص على عدم الخروج منها إلا بعد أن يحقق هدفه فيها، وهو جمع أكبر قدر من المال يمكنه من العيش في مصر بأمان وهذا ما حد من مشاكلهم فيها..

والطريف أن المصريين هناك كانوا حريصين أشد الحرص على ما يجمعونه من مال في الخارج، وقد دفعهم هذا الحرص إلى السكنى في

الأماكن الوضيعة، وعلى هيئة جماعات يصل عدد أفرادها إلى عشرة أفراد وأكثر في الغرفة الواحدة، وذلك من أجل تخفيف أجرة المساكن العالية، وهو ما دفع بهم أيضاً إلى الاقتصاد في الطعام والشراب والعيش في تقشف شديد، حيث كان الفرد منهم لا يجرؤ على شراء علبة من قطع الجبن المطبوخ مرة واحدة، وإنما يشتري منها قطعة أو قطعتين، وكذلك الأمر بالنسبة للبيض والفاكهة والخضروات، وغيرها من المأكولات البسيطة التي كانوا يعيشون عليها..

ومن الملفت أن المصريون، خاصة من أبناء الوجه البحري، إذا ما تجمعوا في مكان تكثر المشاكل والخلافات بينهم، ويعود ذلك إلى حالة التنافر الثابتة بين شرائحهم بسبب تعدد أعراقهم، تلك الحالة التي تحول دون انسجامهم مع بعضهم، وهو ما يفسر لنا سر المعارك والصدامات التي تسود الشارع المصري على الدوام، وقد عانى حسين كثيراً من المصريين حين أقام وسطهم أثناء فترة وجوده في الكويت..

وهذا هو حالهم في كل مكان يتواجدون فيه سواء كان في الكويت أو العراق أو ليبيا أو السعودية أو دول الخليج الأخرى..

وعندما قام السادات بزيارة إسرائيل انقلبت الأوضاع على المصريين في الكويت حيث تم اضطهادهم من قبل الفلسطينيين الذين كانوا يشكلون قوة فيها آنذاك..

وأصبح المصري يعتدى عليه في الطريق من قبل المعادين للسادات لكن الغريب في الأمر هو أن هذا الاضطهاد كان يزيده تعصباً لمصر والسادات..

وقد اكتشف حسين من خلال رصده لحال المصريين في الخارج أنهم يتعصبون لوطنهم أكثر، على الرغم من معاناتهم وشقائهم الدائم فيه،

وذلك الموقف نابع من الدعاية الحكومية التي تركز على تفوق مصر وعلوها على بقاع الأرض، وعلى أساسه يعتبرون كل من ينتقد سياسة مصر أو يهاجمها يعد من الحاقدين على مصر وشعبها..

في تلك الفترة برزت صحيفة يومية كويتية تدافع عن مصر والمصريين يملكها ويرأس تحريرها واحد من الذين أكلوا على جميع الموائد..

وأسهم موقف هذه الصحيفة في تخفيف الحالة العدائية ضد المصريين هناك والتي استمرت لفترة طويلة حتى قتل السادات..

وفي فترة السادات أيضاً وقعت العديد من الحوادث الأمنية التي أقلقته، وارتبطت هذه الحوادث بجماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية التي أخذت تبرز بقوة في صعيد مصر ومحافظة أسيوط خاصة..

كان السادات يتصور أن جماعة الإخوان الموالية له سوف تتمكن من السيطرة على الساحة الإسلامية، وتزيح اليسار من طريقها كما كان عهدها في السابق أيام الحكم الملكي، إلا أن الظروف قد تغيرت وفشل الإخوان في تحقيق هذا الهدف..

من هنا أخذ السادات يحذر الإخوان ويلومهم بسبب النشاطات الإسلامية المتطرفة، التي يقودها طلاب من الجماعات السلفية والجماعة الإسلامية، والذين كانوا في الأصل من عناصر الإخوان ثم انشقوا عنهم..

وانطلق يؤكد من خلال خطبه علمانية حكومته وأنه لا صلة بين الدين والسياسة، أو بين الدين والدولة، ثم أخذ يتهكم على حجاب النساء الذي انتشر في عصره وشبهه بالخيمة..

ولم يكن يعلم أنه بمثل هذه التصريحات قد كتب بيده نهايته إذ اجتمعت عناصر الجهاد وتوحدت ضده، وقررت اغتياله، وتمكنت من الحصول على فتوى شرعية تبيح قتله، تم إخراجها على يد شيخ ضرير كان بمثابة الأب الروحي لهذه العناصر وهوعمر عبد الرحمن..

واشتعلت حرب المنابر على السادات في كل مكان وأصبح مادة خصبة لخطباء المساجد الأهلية والقساوسة في الكنائس الذين لم تعجبهم مواقفه من الكنيسة..

وكان الشارع المصري بأكمله كان قد خاب أمله في السادات الذي رفع شعار **الرخاء والحسم وأخلاق القرية** وغيرها من الشعارات التي تحولت جميعها إلى سراب..

والانفتاح الذي فرح به المصريون وتحمسوا له في البداية اكتشفوا في النهاية أنه لم يكن سوى انفتاحاً استهلاكياً زاد من الضغوط المعيشية عليهم وأكثر من اللصوص والقطط السمان..

كان حسين يراقب كل ما يجري على الساحة وأحس بخطر قادم نحوه من قبل الحكومة التي لم تنس نشاطاته السابقة في دائرة التيار الإسلامي وغيره..

وكان يفترض عقلانية في هذه الحكومة لا تدفع بها لاعتقال أمثاله من المعتدلين، أو أصحاب الرأي الذين لا صلة لهم بالتطرف والجماعات أو التيارات السياسية المعارضة، وخاصة أن السادات كان يتباهى بهدم المعتقلات..

والإقدام على مثل هذه الخطوة قد يأتي بنتائج عكسية وربما يدمر كل ما بناه ويفقده مصداقيته أمام الرأي العام..

إلا أن ما حدث لم يأت حسب تصور حسين وأصدر السادات أمره لوزير داخليته آنذاك النبوي إسماعيل، الذي فعل الأفاعيل وأعاد سنة زائر الفجر، وخرج عن الحد والقدر وأثبت جدارته في البطش والغدر..

وكان النبوي قد عينه السادات بدلاً من سيد فهمي الذي رفض إطلاق النار على المتظاهرين، بسبب رفع الأسعار في الثامن والتاسع عشر من يناير عام ١٩٧٧، تلك المظاهرات التي أطلق عليها السادات يومئذ: انتفاضة الحراميه..

وإطلاق السادات تسمية الحراميه على المتظاهرين يعود إلى قيام العديد من الفقراء القاطنين خلف شارع الهرم الشهير، باستغلال فرصة المظاهرات والهجوم على النوادي الليلية (الكابريهات) التي تكثر في هذا الشارع والاستيلاء على ما فيها من أثاث وخلافه..

وكذلك استغلال بعض اللصوص الفرصة واقتحام العديد من المحلات التجارية وسرقتها..

وسبب تعيين النبوي يعود إلى زوجته المطربة فايده كامل التي كانت من أعضاء مجلس الشعب، واستقبلت السادات حين دخوله المجلس بأغنية يقول مطلعها: **يا سادات ياحبيبنا** بينما كان أعضاء المجلس يرددون الأغنية من ورائها..

ويعود أيضاً إلى كونه لا شخصية له ينفذ ما يطلب منه دون تردد وبالإضافة إلى كونه ينتمي لأسرة وضيعة تعمل في دفن الموتى..

ووجد حسين نفسه متحفظاً عليه بقرارات سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٨١، مع الكتاب والصحفيين المعارضين واليساريين ورجال الدين، من المسلمين والمسيحيين والوزراء القدامى من العهد الناصري، بالإضافة إلى عناصر الجماعات..

ومن كثرة الجرائم والانتهاكات التي وقعت للكتاب والمثقفين والمعارضين على يد رجال النبوي في تلك الفترة أطلق على هذا الحدث اسم: **مجزرة سبتمبر**..

ولم ينس حسين يوم أن جاؤا للقبض عليه في تمام الساعة الثانية من صباح الخميس الثالث من أيلول، حيث انتبه لأصوات ضجيج وسيارات تقترب من البيت، وما هي إلا دقائق حتى اكتشف أن البيت محاصر برجال الأمن وسياراتهم محدثين ضجيجاً كبيراً أيقظ الحي بأكمله، وفتحت نوافذ البيوت المجاورة وطلت الرؤوس لترقب ما يجري في خوف وفزع..

كان الهدف من هذه الحملة الضخمة هو القبض على حسين الذي لم يكن سوى صاحب قلم، تم إدراج اسمه في قائمة المطلوبين للتحفظ، والتي ضمت جميع الذين انزعج السادات من كلماتهم ومواقفهم، وقرر الانتقام منهم بنفيهم إلى معتقل جبل الطور، وهو معتقل بلا أسوار يقع في قلب صحراء سيناء..

ولا تزال تلك الحادثة منطبعة في أذهان أهل الحي يتندرون بها كلما جاءت مناسبة أو رأوا حسين ماراً من أمامهم..

وداخل معتقل جديد افتتح على أيدي المتحفظ عليهم وجد حسين نفسه مع الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل، والخطيب الشهير الشيخ عبد الحميد كشك وقيادات الإخوان ورموز المعارضة وغيرهم..

ووجد نفسه أيضاً وجهاً لوجه مع العديد من عناصر الجماعات الإسلامية التي كان قد اعتزلها من سنوات طويلة، بالإضافة إلى العشرات من العناصر التي لا صلة لها بشيء والتي تعتقل عادة من باب زيادة العدد..

وهم من يطلق عليهم المصريون من باب التهكم (**بتوع الأتوبيس**)

وكالعادة أعلنت وزارة الداخلية أن عدد المتحفظ عليهم لا يزيد على ألفين بينما كانوا في الحقيقة يزيدوا على العشرين ألفاً..

كان حسين قد وضع في زنزانة أطلق عليها (**مجمع الأديان**) لكثرة ما بها من صنوف الإسلاميين المختلفين المتنافرين، من الإخوان والسلفيين والتكفيريين والجهاديين والقرآنيين الذين لا يعترفون بالأحاديث النبوية، بالإضافة إلى جماعات أخرى متفرقة لا تعترف بهؤلاء ولا بهؤلاء، ليس لها تسمية ولا هدف محدد، وكل ما تتبناه وتؤمن به هو أن المجتمع المصري قد تحول إلى مجتمع جاهلي وأن الواجب الشرعي يقضي باعتزاله..

و قد أعلن في الصحف قبل قرارات التحفظ أنه تم القبض على جماعة إسلامية تعيش في الصحراء، يقوم أفرادها برعي الأغنام تطبيقاً لحديث نبوي يقول: **يأتي على أمتي زمان يكون فيه خير مال المرء غنماً يتبع بها شعب الجبال**..

وبعد أيام وفي تمام الساعة الثالثة صباحاً قام رجال الأمن بجمع العديد من المتحفظ عليهم من بينهم حسين وهم معصوبي الأعين ونقلهم إلى معتقل آخر..

وبمجرد أن وطأت أرجلهم ساحة المعتقل حتى انقض عليهم الجنود ورجال الأمن الذين كانوا في استقبالهم بهراواتهم وأرجلهم بغلظة وقسوة بالغة..

وكان كبيرهم يصيح فيهم مشجعاً: **اضربوا الخونة أعداء مصر** واستوصوا بحسين شراً، بعد أن أُعلن أنه من العملاء الذين يسبون مصر لتلحق به إصابات عديدة في ساقه وذراعه ورأسه..

وبعد انتهاء هذه الحفلة قاموا بحلق رؤوس الجميع بطريقة عشوائية إمعاناً في امتهانهم وأثناء الحلاقة كانت تتنزل عليهم شتى صور السب واللعن والركل بالأقدام..

ولم تمر سوى أيام قليلة حتى تم تصفية المعتقلات من العناصر السياسية وترحيلهم إلى معتقل آخر بعد أن كثرت اعتداءات العناصر الإسلامية عليهم..

وبعد فراغ المعتقلات من السياسيين اتجهت العناصر الإسلامية لتعتدي على بعضها..

وكثرت الاعتداءات على عناصر الإخوان من قبل السلفيين وكذلك اعتداءاتهم على المنشقين عليهم..

وكان ضباط السجن وحراسه يراقبون ما يجري في دهشة فلم تكن لديهم فكرة عن هذه الجماعات والخلافات الحادة فيما بينها..

ثم قتل السادات بعد ذلك بأسابيع على يد مجموعة من عناصر الجهاد وسقط ضحية الورقة الإسلامية التي حاول اللعب بها..

وانطبق على السادات المثل العربي الذي يقول: **سمن كلبك يأكلك..**

وتم اعتقال قتلة السادات وأعوانهم من تنظيم الجهاد بالإضافة إلى الآلاف من العناصر الإسلامية المشتبه في صلتها بالحادث من جميع محافظات مصر..

والجدير بالذكر هنا هو أن عناصر تنظيم الجهاد التي خططت لاغتيال السادات كانت على قائمة المطلوبين للتحفظ غير أن رجال النبوي فشلوا في القبض عليهم..

ومن الطرائف أنه تم القبض على مواطن في تلك الفترة بسبب ذبحه أحد العجول ابتهاجاً بقتل السادات..

ومع ازدياد أعداد المعتقلين قررت الحكومة التخلص من المتحفظ عليهم، وتفريغ السجون والمعتقلات للوافدين الجدد، إلا أن حسين لم

يفرج عنه وترك وسط عناصر الجهاد من باب الانتقام ليتحول سجنه إلى سجنين:

سجن لجسده..

وسجن لنفسه التي مزقها الألم واعتصرتها الكآبة، هذا بالإضافة إلى التحقيقات التي كانت تصاحبها صور مختلفة من التعذيب الجسدي كالصعق بالكهرباء، والجلد بالأسلاك المعقودة والتعليق في الهواء، والوقف في مواجهة الحائط عاري الجسد طوال الليل في البرد القارص، وهذه الصور وغيرها كانت تتم والمعتقل معصوب العينين..

وقد تعرض حسين لبعض هذه الصور وليس جميعها من باب الضغط عليه ومحاولة ترويضه ليكون في خدمة جهاز الأمن..

وفي أثناء التحقيقات تم إحضار حسين وهو معصوب العينين ليجد نفسه أمام قيادة أمنية كبيرة كانت مرشحة لتولي وزارة الداخلية..

ودار الحوار التالي:

قال: نحن نعرف عنك الكثير ونعرف أيضاً عدم صلتك بتنظيم الجهاد وقريباً سوف يتم الإفراج عنك..

قلت: و ما هو المطلوب مني..؟

قال: سوف ترجع لممارسة مهنتك كمراسل صحفي وتكتب لنا تقارير عن عناصر المعارضة النشطة في الخارج..

قلت: لو وافقت على هذا العرض فسوف تكون موافقتي تحت ضغط وغير خالصة..

قال: هذا صحيح ولأجل ذلك سوف نفرج عنك حتى تستطيع اتخاذ قرارك وأنت بكامل حريتك..

وانتهى الحوار عند هذا الحد..

ولم يلتق حسين بهذه الشخصية بعد ذلك..

ولم يتم الإفراج عنه..

وفوجئ بعد انتهاء التحقيقات بنزول اسمه في قرار الاتهام الخاص بتنظيم الجهاد، وتمت إحالته إلى المحاكمة في قضية الجهاد الكبرى التي ضمت (٢٨٨) متهماً واستمرت قرابة العامين..

واخترع جهاز الأمن لحسين تهمة مناسبة وهي تهمة تمويل التنظيم عن طريق الكويت بحكم عمله فيها لفترة، إذ من غير المقبول أن يوجهوا له تهمة مشاركة التنظيم في أعماله المسلحة، وعلى رأسها اغتيال السادات وهو في داخل المعتقل..

وما خفف وقع الأمر عليه هو أنه وجد العديد من المتهمين ضمن هذه القضية من الذين يرفعون شعار: يا **حائط استريني** ولا صلة لهم بالسياسة أو بالجماعات لا من قريب ولا من بعيد..

وبعض هؤلاء كان ينطبق عليهم حال أصحاب الأتوبيس إلا أنهم هذه المرة لم يأتوا بسببه، وإنما أتوا بسبب ساعة من نوع (كاسيو) اشتروها من بائع متجول كان يصلي معهم في المسجد، وتبين فيما بعد أنه من عناصر الجهاد، ولما قبض عليه اعترف على كثير من الأشخاص من بينهم زبائنه، فأتوا بهم أجمعين لينزلوا لعناتهم على ساعات الكاسيو واليابانيين..

ومثل حسين ومثل هؤلاء كان الهدف من حشو القضية بهم هو تضخيمها في نظر الرأي العام، وفي الوقت نفسه إثارة البلبلة وسط عناصر الجهاد..

وفوق هذا كله كانوا وسيلة لتلميع الحكم وتحسين صورته عندما يبرؤون من قبل القضاء وهو الأمر المتوقع..

وبالفعل أحدث حسين وهذه العناصر بلبلة وسط أعضاء الجهاد داخل المعتقل، وأدى الأمر إلى وقوع العديد من الصدامات التي وصلت إلى حد الاعتداء بالأيدي وإراقة الدماء..

وقرر جهاز الأمن وقتها جمع هذه العناصر وعزلها باعتبارها منشقة عن تنظيم الجهاد..

وخرجت الصحف الحكومية في اليوم التالي بهذا الخبر:

انشقاق مجموعة من تنظيم الجهاد..

المنشقون يفضحون عناصر التنظيم..

وبالطبع لم يكن حسين من بين هؤلاء حيث أنه لا يصلح للقيام بهذا الدور، أما هؤلاء البؤساء الذين لا هم لهم سوى التفكير في الخروج إلى النور، والعودة إلى الفرح والسرور، ولو كان نتيجته التحول إلى عبد مأمور، كباقي أفراد الشعب المقهور، فهم أهل لهذا الدور..

وقد أتاحت فترة الاعتقال الطويلة الفرصة لحسين للاحتكاك بالعناصر التي حوكمت في قضية اغتيال السادات، أو مجموعة الأربعة وعشرين، الذين أصبحوا تسعة عشر بعد أن تم تنفيذ حكم الإعدام في خمسة منهم، على رأسهم خالد الإسلامبولي، والذين تم ضمهم لقضية الجهاد ليحاكموا مرة أخرى ضمن بقية عناصر تنظيم الجهاد..

ومن خلال هذه العناصر حصل على الكثير من المعلومات الهامة حول حادث الاغتيال، تلك المعلومات التي أكدت له مدى سطحية العناصر الجهادية وسذاجتها، التي أدت في النهاية إلى سقوطها ببساطة وفشلها في قلب نظام الحكم..

كانت مهمة مجموعة الاغتيال هي تطبيق فتوى تبيح دم السادات وحده بغض النظر عن النتائج المترتبة على ذلك..

لم تكن تعلم تلك العناصر المغيبة التي تعيش بعقل الماضي أن قتله لم يكن في صالحهم، وكان مفسدة كبيرة، فالسادات كان أفضل لهم من مبارك بكثير..

وأثناء فترة المحاكمات الطويلة كانت تقع الكثير من الممارسات المتخلفة والغبية لعناصر الجهاد داخل أقفاص المحكمة، وداخل المعتقل الأمر الذي جعل حسين يتيقن أن السبب الرئيس في فشلهم، هو كونهم لا يصلحون للاستخلاف في الأرض، وليسوا مؤهلين لتحمل مسؤوليات الحكم، أو حتى ما هو أدنى من الحكم وأقل منه شأناً..

كانت هذه الجماعات تعتقد أن الله معها وسوف ينصرها على عدوها، وهذا التصور هو ما دفعها لنبذ الواقع وعدم بذل أي جهد للتعرف عليه ومتابعة الحوادث والمتغيرات أو العلوم العصرية، وكانوا لا يقرأون الصحف والمجلات لكونها تحوي صور الأشخاص التي يعدونها من المحرمات..

واستغل حسين فترة الانفتاح أثناء المحاكمات والتحرر من الضغوط الأمنية في كتابة مذكراته التي حوت مشاهداته عن الأمن والجماعات، والحوادث التي وقعت داخل المعتقلات وأثناء المحاكمات من بداية التحفظ عليه وحتى تم إخلاء سبيله..

وتمكن من تهريب هذه المذكرات وسط الكتب التي كان يطلبها من الخارج أثناء الزيارات ليقرأها ثم يردها مرة أخرى، بعد أن يكون قد حشا كلماته بالقلم الرصاص بين أسطر صفحاتها..

وخرج حسين من المعتقل بعد أن برأته المحكمة من التهمة المنسوبة إليه وذلك في أواخر عام ١٩٨٤ لتكون المدة التي قضاها رهن التحفظ والاعتقال والمحاكمة أكثر من ثلاث سنوات متصلة..

■ ■ ■

3
الفرعون الثالث

وبدأ حسين أولى خطواته في فترة مبارك الذي لم تكن له هوية محددة سوى الاستمرار في الانفتاح على الغرب، والاتجاه نحو اليمين بأقصى سرعة ممكنة ليتم تصفية القطاع العام من شركات ومؤسسات كانت تمتلكها الدولة، وتفتح البلاد على مصارعها للاستثمار الأجنبي وتفتح أيضاً للتيارات الفكرية والثقافية المختلفة..

لم يكن مبارك صاحب خبرة أو تجارب كما لم يكن يملك ثقافة أو عقل سياسي أو حتى إداري، فقط كان فهمه ينحصر في محيط سلاح الطيران الذي ينتمي إليه وقد اختاره السادات ليكون نائباً له لامتلاكه هذه المواهب..

وهذه المواهب جعلت منه عبداً مطيعاً لمولاه ينفذ ما يؤمر به ويقوم بتسليم رسائل السادات لزعماء وقادة العالم، وعندما تتاح له فرصة الكلام يفتضح أمره وتظهر ضحالته وغباوته الشديدة أيضاً..

واختيار السادات لهذه الشخصية إنما هو صورة من صور الاستخفاف بمصر وشعبها التي يمارسها حكام مصر على الدوام..

من هنا فقد حاز مبارك على أكبر قدر من السخرية والتهكم والنكات التي يطلقها المصريون عادة على رؤسائهم، وكان الطلاب في

الجامعة يطلقون عليه عندما كان نائباً اسم (**لافاش كري**) بالفرنسية أي البقرة الضاحكة..

وهو نفسه ما كان يتوقع أن يحكم مصر بعد اغتيال السادات، فقد كان يعرف نفسه جيداً وأنه لا وزن له ولا خبرة له في شيء، خاصة بعد أن أخرجوه من أسفل المقاعد أثناء حادث الاغتيال وهو في حالة من الخوف والهلع، وأخذ يستعطف الضباط الذين أحاطوا به أن لا يؤذوه، متصوراً أن ما حدث محاولة انقلاب هو أول ضحاياها..

إلا أن ما حدث هو أن هؤلاء الضباط بدلاً من أن يلقوه جانباً أخذوه إلى القصر الجمهوري ليستفتي عليه من قبل أعضاء مجلس الشعب، وليصبح رئيساً لمصر، ويجد الجميع له سجداً، كما هو حال المصريين مع فراعنتهم، فتزول الرهبة من نفسه ويتحول إلى أسد ضار لا ترد له كلمة ويفعل بالبلاد والعباد ما يشاء..

وكما أطلق السادات زوجته في البلاد أطلق مبارك أيضاً زوجته في البلاد لتأمر وتنهى كأنها ملكة متوجة..

وسياسة السادات التي سار عليها مبارك لا تتلائم مع تركيبة المجتمع المصري الضعيفة التماسك، التي تعتمد على الحكومة اعتماداً كلياً، فسرعان ما انهار المجتمع المصري أمام موجة الانفتاح، وانهارت معه الشخصية المصرية التي فقدت هويتها وتحللت من قيمها، بعد أن ازدادت الضغوط المعيشية عليها بسبب تخليٌ الحكومة عن دورها في تحقيق العدل في توزيع الثروات، والرعاية الاجتماعية ودعم السلع الأساسية والقضاء على البطالة..

وبدأت الأسرة المصرية في التحلل وارتفعت نسبة الجريمة مع ازدياد حجم الفساد..

وكان رد الفعل هو ازدياد التطرف من قبل الجماعات الإسلامية التي وجدت في هذا الفساد والانحطاط الذي ازدادت حدته المبرر الكافي لتعلن غضبتها على المجتمع والحكومة..

وما زاد الطين بلة وزاد من حدة الضغوط على حسين هو وقوع محاولة لاغتيال حسن أبو باشا، وزير الداخلية السابق الذي كان له دور في التحقيقات والتعذيب الذي وقع داخل المعتقلات بعد اغتيال السادات، ومحاولة اغتيال بعض الصحفيين المناهضين للجماعات الإسلامية من قبل عناصر ظلت مجهولة لفترة..

وفور وقوع هذه الحوادث صدر قرار باعتقال كل من سبق اعتقاله ليفر حسين من وجه رجال الأمن بعد أن أيقن أنه من المطلوبين وظل مختفياً قرابة العام..

في تلك الفترة تم القبض على العديد من العناصر الإسلامية الذين وضعوا تحت التعذيب، من أجل انتزاع اعتراف منهم يفيد ارتباطهم بالحادث، كما هو شأن جهاز امن الدولة على الدوام، عندما تقع حادثة أو جريمة حيث يقوم على الفور بالقبض على من يشتبه بصلته بالحادث أو الجريمة، ويوضع تحت التعذيب كي يعترف بارتكابه الجريمة، أو يقر بصلته بالحادث، وهو ما يعكس لنا غباء الأمن وكسله الذي يواجه بدوره جريمة غبية تتلائم مع طبيعة المصريين التي تسهل له مهمته..

وقد تم فيما بعد اكتشاف المجموعة التي كانت تقف وراء محاولات الاغتيال، وهي مجموعة تكفيرية جديدة لم تكن في حساب جهاز الأمن، لكون تيار التكفير لم يكن يتبنى العمل المسلح، وإنما يتبنى فكرة انتظار ظهور علامات آخر الزمان وحدوث الملحمة الكبرى بين المسلمين والكافرين، التي سوف ينتهي من خلالها الكفر من الأرض حسب الروايات النبوية التي تشير لذلك..

وكانت هذه المجموعة قد انشقت عن تيار التكفير الأم بسبب موقفه السلبي من الواقع، وقررت تبني الجهاد مع تمسكها بتكفير المجتمع عامة دون توقف في أحد..

وتيار التكفير الأم كان قد وضع حجر الأساس له طالب جامعي من عناصر الإخوان يدعى شكري مصطفى في داخل معتقلات عبد الناصر بالستينيات تحت تأثير الطرح القطبي..

ووضع شكري قاعدة التوقف والتبين التي تعني عدم الحكم بالكفر جزافاً، والتوقف في الحكم على الفرد بالكفر إلا بعد عرض الدعوة عليه وفي حالة رفضها يحكم بكفره..

أما هذه المجموعة الجديدة فقد رفضت هذه القاعدة واعتبرت أن الأصل في المجتمع الكفر، وحكمت بكفر الجميع سواء بلغتهم الدعوة أم لم تبلغهم، وكان أساس رفضهم لهذه القاعدة هو حوار دار بينهم وبين إمامهم شكري حول التوقف، وهل يشمل المجاهرين بفسقهم كالراقصات مثلاً..؟

وكان جواب شكري هو: بلى يشملهم حتى يتم تبين أمرهم..

وهنا أعلنت هذه المجموعة انشقاقها عن التيار الأم بسبب توقف شكري في الحكم بكفر الراقصة..

وعندما فتح التحقيق مع عناصر هذه المجموعة كان جوابهم عن الدافع وراء تأسيس مجموعتهم وارتكاب مثل هذه الحوادث هو: النجاة من النار، فأطلق عليهم اسم (**جماعة الناجون من النار**) وتلقف الإعلام هذه التسمية وشاعت على صفحات الصحف وفي أجهزة الإعلام..

في تلك الفترة كانت الحرب العراقية الإيرانية مشتعلة ومصر منحازة إلى جانب العراق في هذه الحرب، ولم يكن موقف الحكم الموالي لنظام صدام حسين يرضي العديد من مثقفي مصر وسياسييها آنذاك.

وكان حسين من بين هؤلاء المثقفين الرافضين لهذه الحرب المطالبين الحكومة بالتخلي عن تأييدها ودعمها لصدام حسين..

واتهمت الحكومة المثقفين والسياسيين الرافضين للحرب بالعمالة لإيران، في الوقت الذي كانت الساحة الثقافية والسياسية تكتظ بعملاء العراق، الذين يدعمون علناً من صدام حسين، والساحة الإسلامية تكتظ بالجماعات السلفية المدعومة علناً من السعودية..

كان المؤيدون لصدام من أتباع النهج القومي وإلى جوارهم التيار الإسلامي الذي كان يؤيد صدام من باب النكاية في الشيعة الذين بزغ نجمهم في كل مكان بسبب إيران..

وكانت الساحة الإسلامية والثقافية في مصر مفتوحة على مصارعها للهجوم على المذهب الشيعي، الذي اتخذته إيران مذهباً رسمياً لها خاصة، وقد امتد هذا الهجوم ليشمل الصحف الحكومية..

ومولت جهات سعودية وعراقية هذه الحرب الدعائية ضد الشيعة وإيران، وفتحت شهية الكثير من الكتاب والناشرين، وكل من هب ودب للتسابق نحو الخزائن التي فتحتها هذه الجهات لينهلوا منها بغير حساب..

وهكذا أغرقت الساحة المصرية بالكتب الموجهة ضد الشيعة وإيران التي كان معظمها يهدى ولا يباع، واكتظت الصحف بالمقالات التي تخدم هذا الغرض وكان نصيب التيار السلفي من هذه الغنائم كبيراً..

ولقد جند القذافي المطابع الحكومية ودور التوزيع المصرية من أجل نشر وتسويق كتابه (**النظرية الثالثة**) وأنفق ملايين الدولارات من أموال الشعب الليبي لهذا الغرض..

ومـلأ العديـد من المسئولين جيـوبهم بالمال من وراء هذا الكتـاب الذي أصبح مكدساً على الأرصفة بثمن زهيد ولا يلتفت إليه أحد..

وهو نفس مـا حدث للكتب التـي مولتهـا الجـهات العـراقيـة والسعـودية ضد إيران والشيعة..

إلا أن حسين قد لفت انتباهه من بين كتب الأرصفة كتاب كبير يقع في ثمـانمائة صـفحـة، كتبه واحـد من الصـحفيين الشيـوعيين القـدامى المناهضين لنظام عبـد الناصر وفكرة القومية الذي كـان يعمل في جريدة الحوادث اللبنانية وهو كتاب (**السعوديون والحل الإسلامي**)..

كان هذا الكاتب الصحفي قد تحول إلى التيـار الإسـلامي وأصبح من المنادين بالحل الإسلامي على الطريقة السعودية..

وقامت السعودية بتمويل هذا الكتـاب الضخم وتسويقـه في كل مكان إلا أنه سقط كبقيـة الكتب الأخرى ليباع بثمن زهيـد لا يوازي ثلث تكلفته وهو الذي كان سعره وقت صدوره مائة ريال سعودي..

وبعـد انتهـاء الحـرب العـراقيـة الإيرانيـة توقفـت الحـملة التي كـانت موجهة ضد الشيعة وإيران ثم برز تيار الجهاد بقوة أكثر فيما بعد..

ودخلت الحكومـة في صـدام مع العنـاصر الجـهـادية في صعيـد مصـر خاصة في محافظتي أسيوط والمنيا..

ولأول مرة تخسـر الكثيـر من رجالها في مـواجهاتهـا مع هـذه العنـاصـر التي تجاوزت حـدود رجال الأمن لتعتـدي على السـائحين الأجـانب وتهـدد الاقتصاد القومي..

إلا أن هـذه المواجهات لم تسـتمر طويلاً وتراجعت حـدة العنف بسـرعة ليس نتيـجة لتفوق الحكومـة، بل نتيـجـة للنفس المصـري القصيـر وافتقـاد

الدعم الجماهيري، وهو ما يتماشى مع طبيعة المصري المهادنة للحاكم المسالمة له، والمعتقدة بضياع ما تقبض عليه يدها من فتات نتيجة الصدام معه..

حتى أن الجماعة الإسلامية التي كانت تقود المواجهة مع رجال الأمن في صعيد مصر، والتي شارك عناصرها في مذبحة أسيوط التي وقعت في عيد الأضحى بعد قتل السادات، والتي قتل فيها العشرات من جنود الأمن على يد هذه العناصر، هذه الجماعة أعلنت توبتها وتصالحت مع الحكومة وتراجعت عن الفكر المتطرف..

وقصة التوبة كانت في الحقيقة لعبة من ألاعيب مباحث أمن الدولة، كما أن توبة هؤلاء لم تكن خالصة، إذ ينبغي عليهم إعلان براءتهم من الفكر المتطرف الذي ورثوه من **الحنابلة وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب**، الذي برر لهم استحلال المسيحيين وسرقة محلات الذهب التي يملكونها، وقتلهم بحجة عدم وجود عقد الذمة الذي يعصم دمائهم وأموالهم نتيجة لعدم وجود خليفة للمسلمين..

والذي برر لهم أيضاً الحكم بالشرك على جميع المسلمين وعلى رأسهم المصريين الذين يتوسلون بالأموات من الأولياء والصالحين..

هم أعلنوا براءتهم من الفعل ولم يعلنوا براءتهم من الفكر..

وتوبتهم على فرض التسليم بصحتها لا ترفع العقوبة الشرعية عنهم، وهم قد نجوا من أحكام الإعدام التي كانوا يتوقعونها بحكم القانون الوضعي..

وقد تسامح المجتمع (**الجاهلي**) والحكومة (**الكافرة**) معهم..

وهنا يكمن تناقض هؤلاء إذ كيف يكفرون بالقانون الوضعي، وفي الوقت نفسه يقبلون بحكمه..؟

وكيف يكفرون الحكومة ثم يرضون بحكمها..؟

وكان موقف مصر تجاه إيران أثناء الحرب العراقية الإيرانية يعد دليلاً على نفاق وتلون السياسة المصرية وعدم ثباتها، سيراً مع رغبات الفرعون الحاكم الذي يطبق قاعدة فرعون التي نص عليها القرآن بقوله: ﴿**ما أريكم إلا ما أرى**﴾..

في الفترات التي تلت الفترة الفاطمية وهي الفترات الأيوبية والمملوكية والتركية العثمانية، شنت الحرب على الشيعة والفاطميين على وجه الخصوص، وأنزلت عليهم اللعنات على لسان المؤرخين والفقهاء، ولا تزال هذه الهجمة مستمرة حتى اليوم، وكل ذلك لكون الفاطميين كانوا من الشيعة، وتجاهل هؤلاء أن الفاطميين هم الذين نصروا مصر وكانت لها العزة والرفعة والقوة في أيامهم..

وفي الفترة الناصرية أعلنت الحرب على أسرة محمد على وشوهت صورتها، على الرغم من بصمتها القوية وانجازاتها الهائلة في تاريخ مصر الحديث، في الوقت الذي عجزت فيه حكومة الضباط بقيادة عبد الناصر عن تحقيق شيء يذكر أمام هذه الانجازات..

حتى السد العالي الذي اعتبره البعض إنجازاً تاريخياً لعبد الناصر لم يكن ليتم بناؤه لولا مساعدة السوفيت..

وكانت الساحة المصرية في تلك الفترة تكتظ بالكتب والمقالات التي تهاجم السعودية وإيران الشاه..

وفي الفترة الساداتية لعن عبد الناصر على لسان الكتاب والصحفيين وامتدحت السعودية وإيران الشاه ثم لعنت إيران بعد ظهور الخميني..

ولعن القذافي وتهكم عليه المصريون وأعلنت الحرب على ليبيا في عام ١٩٧٦، ثم تم تمجيده بعد ذلك على لسان الإعلام المصري..

والكتاب والصحفيين الذين اعتمد عليهم السادات في حملته الإعلامية، كانوا في الفترة الناصرية يمجدون عبد الناصر ويسبحون بحمده وهم أيضا الذين اعتمد عليهم مبارك..

وهناك ضابط مخابرات كانت مهمته في عهد عبد الناصر هي توريد النساء لكبار الضيوف والمسئولين وأصبح بعد ذلك سنداً لمبارك ومكث وزيراً للإعلام فترة طويلة، ثم أوكلت إليه مهمة أمانة الحزب الوطني الحاكم والتمهيد لولده جمال..

وهذا الضابط هو واحد من كثيرين كانواحول مبارك، الذين تفرخوا في عهد عبد الناصر وخربت مصر على أيديهم، بل كان ركناً من أركان نظامه،..

وقد فرّخ لنا العديد من القوادين المتاجرين بأعراض النساء في مجال الإعلام، كان آخرهم واحد من كبار المسئولين بجهاز التلفزيون، كشفت أمره صحيفة أسبوعية في موضوع أثار الرأي العام منذ سنوات، وكان يقوم بتوريد العديد من نساء السينما والتلفزيون لأثرياء الخليج..

والإعلام المصري الذي كان يمجد صدام حسين حين كان يشن حربه على إيران، أعلن عليه الحرب ولعنه بعد قيامه بغزو الكويت، وقام بفتح ملفه حين كان لاجئاً بمصر في الستينيات، بعد اشتراكه في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم..

بدأت الصحف تكتب عن مغامرات صدام في النوادي الليلية والمحاضر التي كتبت له في أقسام الشرطة بسبب مشاكله مع بنات الليل..

وكان هذا هو حال السياسة المصرية على الدوام التلون والتقلب حسب مزاج الفرعون الحاكم لا حسب مصلحة مصر..

إذا رضى الساسة عن أحد مدحوه ورفعوه إلى عنان السماء وإذا غضبوا عليه أنزلوه أسفل سافلين..

وفي ظل حكم الفرعون المخلوع الذي كان يتصرف في مصر كمالك لها ويحكم كملك متوج..

في ظل هذا الحكم لم يكن هناك مجال للمعارضة وممارسة السياسة، إلا في دائرة الإطار الذي يخدمه ويبتعد عن استفزازه هو وعائلته، ولا يفكر في فتح الملفات السرية التي تتعلق بممارساته الإجرامية في حق الشعب والوطن، وعلى رأسها قتله العديد من ضباط الجيش الذين تمردوا عليه، بالإضافة إلى من يقتلون في المعتقلات وفي أقسام الشرطة..

ومن يقتلون في طوابير الخبز ونتيجة الأغذية الفاسدة التي يستوردها ولده وأعوانه، وغير تلك الجرائم التي تضعه في مصاف مجرمي الحرب وتستوجب تقديمه للمحاكمة..

كان حسين نتيجة لهذا كله لا يكف لسانه عن لعن مبارك في كل وقت، وكلما فوجئ بصورته أمامه في الطريق أو في أي مكان، وكان كل من تصل إلى مسامعه لعناته لهذا الفرعون البغيض ينظر إليه بدهشة واستغراب.

من هنا كفر حسين بالسياسة ولم يمارس العمل السياسي طوال حياته ولم ينتم لأي تنظيم أو حزب سياسي، أو نقابة من النقابات، أو حتى جمعية من الجمعيات، فقد كان يرى أن كل هذه أنشطة شكلية لا دور لها في ظل دولة بوليسية، ومجتمع لا يمارس السياسة من الأصل بل يفر منها فرار الحمر المستنفرة الفارة من قسورة..

وقد غابت هذه النقطة عن الكثير من السياسيين الذين اندفعوا في حماسة شديدة للعمل الوطني معتمدين على أفراد الشعب ليكتشفوا في النهاية أنهم في واد والشعب في واد آخر..

كان حسين يعتقد أن النظام المصري هش وضعيف ولا يحتاج سوى لهزة بسيطة كي يسقط ويتهاوى..

وهو يبدو في الظاهر قوياً إلا أن قوته هذه ناتجة من ضعف وانهزام خصومه..

من هنا كان حسين في بداياته الفكرية يؤمن بنظرية الالتحام بالشعب من أجل تحريكه لإحداث هذه الهزة، فكان يتعمد السكنى في الأحياء الشعبية الفقيرة وشاركه هذا التصور واحد من أصدقائه الناصريين..

إلا أن حسين لم يحتمل سلبية المصريين ولا مبالاتهم وتقاتلهم الدائم فيما بينهم، بالإضافة إلى تعمدهم الانغماس في اللهو واللعب وتعاطي المخدرات كوسيلة للهروب من الواقع..

ووصل إلى نتيجة مفادها أن المصريين لا يمكن التأثير فيهم وتحريكهم إلا بسلطان، وهذا السلطان لا يملكه إلا الفرعون الحاكم، فالمصري يفضل أن يكون تابعاً على أن يكون متبوعاً، فمن ثم هو يجهض أي شخصية طامحة تظهر في وسطه تحاول أن تخرجه من هذه الدائرة، وهو على استعداد دائم للتضحية بها من اجل تجنب أذي الحاكم تماماً، كما ضحى الملايين من أتباع الإخوان بجماعتهم ليتقوا شر عبد الناصر..

هذا كله دفع بحسين إلى الفرار من وسطهم لينعزل بعيداً عنهم ولحق به بعد فترة صديقه الناصري بعد أن وصل لنفس النتيجة..

■ ■ ■

4
بيت النكد

كـان حـسين يعـيش مـعـاناة شـديدة مع أسـرته ويضطر دائمـاً إلى هجـرهـا والبحث عن سكن مستـقل له بعيـداً عنها، وذلك بسـبب والده الفظ الغليظ القلب الذي اعتاد الاعتداء على والدته وطردها من البيت مـا بين الحين والآخـر، وبسـبب إخـوته الذين كـانوا يحـملون الكثيـر من طباع أبيهم مما كان يجعله على صدام دائم معهم..

لم يكن والده أحـمد يحمل شـيئاً من شـيم أهل الصعيـد الذي كان ينتـمي إليـه، والـذي يعـرف رجـاله بالقـوة والنخوة، بل كـان رجـلاً جبـاناً معقداً يفرغ عقده ما بين الحين والآخر في زوجته وأولاده..

ولم يكن يهتم بأحد من أولاده إذا مـرض أو أصابه مكروه أو بوالدتهم التي كـانت تمرض كثـيـراً، بسـبب المهـام الشـاقـة التي كـانت تؤديهـا في البيت وحدها دون أن يتحرك أحد من الأولاد لمساعدتها..

والأغـرب من ذلك أنه لم يمرض يوماً في حيـاته ولم يلجأ لطبيب إلا لطبيـب الأسنان، وذلك من أجل تركيب أسنان صناعية بدلاً من أسنانه التي تهاوت وأكلها الدهـر..

والشغل الشاغل لهذا الأب كان هو الأكل والنوم وإذا حضر إلى البيت يوماً ولم يجد الطعام جاهزاً فإنه يشعل البيت ناراً، غير مبالٍ بالجيران الذين أبدوا انزعاجـهم وغضـبـهم منه بسـبب العـراك والصيـاح الذي لا

ينقطع من بيته ليل نهار، حتى أنه في ليله من الليالي قلب مائدة الطعام (**الطبلية**) على أم حسين وهو يسبها ويلعنها وذلك بسبب مطالبتها له بملابس الأولاد..

وإذا ما اعترض على تصرفاته أحد من الجيران فإنه يرد عليه بغلظة قائلاً: **أنا حر في بيتي**..

ورغم ذلك كان يعد نفسه فقيهاً في الدين ويداوم على قراءة القرآن وكذلك صحيفة الأهرام يومياً..

وفوق هذا كان لا يترك فرضاً من فروض الصلاة ولا يترك المسبحة من يده، وكثيراً ما يهبط إلى المسجد لأداء صلاة الفجر حاضراً..

والطريف أنه كان يحلم أن يكون من رجال الأزهر وهو ما دفع به من صغره نحو كتّاب القرية ليتمكن من حفظ القرآن الذي يعد بمثابة تأشيرة دخول الأزهر..

وقد كلفه هذا الأمر الكثير من المتاعب مع والده الذي كان يلاحظ إهماله فلاحة الأرض وتغيبه الدائم عن البيت، فكان يستقبله بعصاته حين عودته ويوجعه بها ضرباً، ولا يتركه إلا حين تتدخل والدته وتمنعه من مواصلة الاعتداء عليه..

وكان أحمد تستفزه معاملة والده له في الوقت الذي يقرب شقيقه الأكبر ياسين ويقدمه عليه، وذلك لكونه يحمل الكثير من صفات الرجولة ويقوم بدوره في فلاحة الأرض على أكمل وجه..

وحدث أن قتل ياسين وهو يعمل في الأرض واجتمعت العائلة لتقرر الثأر من قاتله واختارت أحمد ليقوم بهذه المهمة..

إلا أنه فور علمه بالأمر فر من القرية نحو القاهرة ولما علم والده بهروبه تبرأ منه وأقسم إن رآه في القرية فسوف يقتله بيده..

ومنذ ذلك الحين لم يعد أحمد إلى قريته وساح في القاهرة يبحث عن عمل وطرح حلمه من ذهنه، لكنه لم يطرحه من جسده حيث جعل رداؤه طوال عمره هو زي رجال الأزهر، فكان يسير في الطريق مرتدياً الجبة والقفطان وعلى رأسه العمامة الأزهرية وبيده عصاً فاخرة يختال بها..

وكانت تكلفة هذا الزي في تلك الفترة تزيد على الثلاثين جنيهاً وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت كان ينفقه على هذه المظاهر، في حين كان يبخل على زوجته بثمن الدواء ويتركها تصارع المرض، وكذلك كان حاله مع الأولاد..

وكلما رأى حسين والده بهذا الزي الذي يتجمل به على سبيل النفاق حمد الله أنه ليس على سبيل الحقيقة وإلا كان أضاف للأزهرعورة جديدة فوق ما به من عورات..

وكان فرار والد حسين من قريته في أواخر الثلاثينيات وقادته قدماه إلى السكنى في غرفة بحي شعبي يقع إلى جوار محطة القطار..

وفي هذه الفترة تعرف على الشيخ سليمان عن طريق مسجد الحي الذي كان يداوم على الصلاة فيه..

وقرر سليمان بعد معرفته بحاله أن يجعله من عماله في واحد من محلات البقالة التي يملكها بالحي والتي كان يديرها ولديه محمد وعلي..

ولم يكن سليمان راض عن ولديه لسوء سلوكهما وسهرهما الدائم خارج البيت في النوادي الليلية وعلاقاتهما بنساء الليل، كما أن ولديه لم يكونا راضين عن هذا الغريب الذي دخل وسطهم وسعيا لطرده وحاولا الإيقاع بينه وبين أبيهم..

إلا أن سليمان تمسك به بعد أن لمس فيه الطاعة والمداومة على الصلاة وقراءة القرآن، بالإضافة إلى أمانته فعرض عليه أن يزوجه إحدى بناته ويقيم في بيته وتم الزواج رغم أنف محمد وعلي..

وهكذا ضرب هذا الصعيدي الفار من أهله ثلاث عصافير بحجر واحد إذ حصل على عمل وبيت وزوجة في آن واحد..

وبعد سنوات توفي الشيخ سليمان وبدأ الصراع على الميراث بين الذكور والإناث وانفصل محمد وعلي كلاهما في دكان مستقل..

وقام أحمد بافتتاح دكان خاص به بمساعدة زوجته إلا أنه تم إغلاقه بعد فترة قصيرة بسبب سوء إدارته وغلظته مع الزبائن، وبسبب أقاربه ومعارفه من الصعيد الذين كانوا يتوافدون على القاهرة طلباً للرزق، وكان هو يحاول البروز أمامهم بمظهر الرجل الناجح الثري، فيفتح لهم بيته الذي هو بيت زوجته، وينفق عليهم بسخاء ويقرضهم المال أيضاً..

وكانت زوجته ترفض بشدة تصرفاته هذه، خاصة تركه لأقاربه ومعارفه يقيمون في البيت بينما هي تقوم بخدمتهم ليل نهار، فكان رده عليها هو السب واللعن وأحياناً الضرب..

ولما أفلس وأغلق دكانه تخلى عنه أقاربه ومعارفه ولم يتطوع أحد منهم لرد ما عليه من دين له..

وكثر عراكه مع زوجته وسبه ولعنه الدائم لها ولوالديها بالإضافة إلى اعتداءاته عليها ما بين الحين والآخر، مما أدى إلى تدخل أشقائها الذين قرروا طردوه من البيت والاستراحة منه، فخرج مكرهاً تاركاً زوجته وأولادها الخمسة دون خبر أو مال..

كان ذلك في منتصف الخمسينيات وحسين يومئذ طفلاً في الثالثة من عمره..

وبعد أن ضاقت به الأحوال في القاهرة ظهر فجأة وقرر أن يأخذ زوجته والأولاد ويعود بهم إلى قريته واستسلمت الزوجة لهذا القرار..

وما أن وصل إلى القرية حتى تركهم هناك وفر ليذوقوا الأمرين على يد أهل هذا البيت..

كان الجد والجدة ينتقمون من ولدهم أحمد الذي جلب لهم العار حسب أعرافهم في شخص أولاده وزوجته خاصة التي حظت بقدر من التعليم جعل نسوة البيت يغيرون منها..

وكثيراً ما كان حسين وإخوته يتعرضون للضرب المبرح على يد جدهم هذا بالإضافة إلى الإهانات الدائمة التي كانت تلحق بهم وبوالدتهم..

كانت والدة حسين تجيد مهنة الحياكة ومن حسن الحظ أنها أحضرت معها ماكينة الخياطة الخاصة بها، والتي أتاحت لها فرصة العمل في حياكة ملابس نساء القرية، ولولا هذا العمل لمات حسين وإخوته من الجوع..

وقضى حسين حوالي سبع سنوات في الصعيد يعانى هو ووالدته وإخوته من جده وجدته وأبناء عمه بينما كان والده يرتع في القاهرة ولا يبالى بهم..

وحدث أن جاء أحمد إلى القرية خلسة وتسلل إلى البيت، واكتشف والده وجوده فهجم عليه بعصاته الغليظة أمام حسين وشاركته جدته في الاعتداء عليه، في حين كان رد فعله هو تلاوة بعض آيات القرآن ليفرمن القرية بعد أن قام والده بإحضار بندقيته مطلقاً عليه النار لكنه لم يصبه..

وبعد مدة قصيرة تمكن من استئجار دكان صغير في أحد الأحياء الشعبية في القاهرة، وعاد ليأخذ حسين مع والدته وإخوته ليعيشوا معه

هناك في شقة صغيرة استأجرها في بيت قديم يقع على مقربة من الدكان..

وما أن استقروا في هذه الشقة حتى استدعاهم على الفور للعمل معه في الدكان رافضاً قبول أية أعذار متوعداً المتخلف منهم بالعقاب الشديد..

وزاد الطين بلة حين أفرغ غرفة في شقته التي تؤويه وأولاده وحولها إلى مستودع للمخللات..

واكتشف الجيران الأمر وأبلغوا صاحب البيت الذي قرر طرده منها لولا بعض الوساطات..

ونتج عن معاملته السيئة لأولاده أن فشل العديد منهم في دراستهم ولم يبال بهذا الأمر فقد كان يريد أولاداً غير متعلمين لا يرهقوه اقتصادياً ولا يشاكسوه حين يكبرون..

يريدهم مجرد خدم له يحتاجون إليه على الدوام ويظل يفرغ فيهم عقده ويفرض عليهم سلطانه..

وكثيراً ما كان يذكرهم ووالدتهم أنه هو الذي يطعمهم ويسقيهم ولولاه لماتوا جوعاً ولم يكن يقبل من أحد منهم أن يكون نائماً أو مستلقياً حين يدخل البيت..

وأثناء عمله في الدكان أحدث الكثير من المشاكل بسبب معاملته السيئة للزبائن وتهكمه على الناس، وكثرة خوضه في سيرة الجيران مما كان يؤدي إلى تعرضه للإهانات وأحياناً الضرب..

ونتج عن هذا السلوك فقدان الكثير من الزبائن ومقاطعه جيرانه له وعلى رأسهم مؤذن المسجد المجاور لدكانه، والذي توقف عن إلقاء السلام عليه، وكاد أن يفقد هذا الدكان كما فقد دكانه الأول..

من هنا كان كلما حضر إلى البيت أشعل حرباً بدون مبرر منزلاً لعناته على من في المنزل مفرغاً شحنة الغضب الكامنة في نفسه تجاه من أهانوه ونالوا منه في زوجته وأولاده..

وكان الدكان الذي استأجره يقع في بناية تتكون من ستة طوابق يسكن في الطابق الأخير منها صاحب البيت مع زوجته وأولاده..

وصاحب هذا البيت كان فظاً غليظاً على شاكلة أحمد وكثيراً ما يتعارك مع زوجته ويعتدي عليها بالضرب..

وحدث أن جاء أحمد في الصباح الباكر لفتح دكانه كما هي عادته، وبينما هو يرفع الباب إذ سقطت أمامه زوجة صاحب البيت من أعلى جثة هامدة، وتبين أنها انتهزت فرصة نوم زوجها والأولاد وألقت بنفسها من سطح البيت لتستريح من زوجها النكد..

وفي الطابق الثالث من هذه العمارة كانت تقيم أسرة تتكون من امرأة من أصول تركية، والدها كان من الباشوات الذين قضى عليهم عبدالناصر وزوجها المهندس بالحكومة وأولادها الثلاثة..

وزوجها كان من الطبقات الدنيا فمن ثم كانت تستخف به وتكيل له الشتائم والإهانات في الصباح وفي المساء بينما هو خانع مستسلم لها..

وكانت هذه المرأة قد أطلقت على أبناءها اسم بيبي وسوسو وناني ولا تحب أن يخاطبهم أحد بغير هذه الأسماء..

أما والدها الباشا السابق الذي فقد كل شيء وأصبح مفلساً فقد كان كثيراً ما يتردد عليها من أجل إطعامه والإنفاق عليه..

وأثناء تردده على ابنته كان يمر على دكان أحمد ليأخذ منه علبة سجائر على سبيل الأجل أو على حساب زوج ابنته..

وأحمد بدوره كان يستغل فرصة وقوف هذا الباشا السابق بين يديه ليفرغ عقده فيه فيلبي طلبه مرة ويرفض أخرى مع إضافة شتى صور التهكم والاستهزاء به..

وكانت مصر تكتظ بالكثير من أمثال هذا الباشا الذين شردوا وسقطوا ضحية لعمليات التطهير والمصادرات..

لم يكن حسين ينسى سلوك والده هذا مع الباشا السابق الذي يدل على نفسيته المريضة الحاقدة على الآخرين لمجرد أنهم أفضل منه حالاً أو حتى كانوا أفضل منه حالاً..

ولم ينس أيضاً يوم أن طرد شقيقه الأكبر حسن من البيت والذي كان مجنداً في الجيش، ويقضي فترة تجنيده في قطاع غزة قبل حرب عام١٩٦٧م، ووقوف حسن على باب البيت وهو يقول لوالده: **يوم تموت لن أمشي في جنازتك..**

ومنذ ذلك الحين لم يعد إلى البيت بعد أن فقد في الحرب واعتبرته الحكومة بعد فترة شهيداً وقررت صرف تعويض ومعاش دائم لوالده استمر يتقاضاه حتى مات..

وكثرت اعتداءات أحمد على زوجته وطرده الدائم لها من البيت منكراً جميلها عليه محتقراً لها ولوالديها وأهلها، وناكراً لجميل من ساعدوه على افتتاح دكانه الصغير الذين لولاهم ما كان يمكن له افتتاحه، ولفظاظته وسوء خلقه لم يبق له على صديق..

وازدادت كراهية أولاده له حتى أنهم كانوا يتمنون موته حتى يستريحوا منه..

والمضحك أن العائلة الصعيدية اختارته كبيراً لها بعد وفاة والديه ليس لميزة فيه سوى أنه أكبرهم سناً..

وجاء موسم الترشح لمنصب عمدة القرية فقاد العائلة نحو الصدام بالمنافسين، وكاد أن يحدث فتنة تراق بسببها الدماء لولا تدخل العقلاء من العائلتين لينتهي الأمر بسلام..

ومنذ تلك الحادثة قررت العائلة الإطاحة به واختيار كبير آخر لها بعد أن تبين لهم سفاهته، خاصة بعد أن جمع ثمن المحصول من الأرض التي ورثها عن أبيه وقرر الزواج من فتاة صغيرة من عمر أولاده لكنه لم يحظ بقبول أهلها..

والأغرب أنه عندما سنحت له فرصة الحج ذهب وحده ولم يفكر في اصطحاب زوجته معه، وعاد من الحج فرحاً لاعتقاده أنه قد غسل ذنوبه كما هو معتقد المصريين، الذين يؤمنون بأن الذاهب للحج يغسل ذنوبه ويعود منه كيوم ولدته أمه، وهو المعتقد السائد لدى عوام مصر الذين يعبرون عن الذاهب للحج يقولهم: **رايح يغسل**..

وكانت والدة حسين تجمع أولادها كلما سنحت لها فرصة ذلك لتقص عليهم قصة أبيهم، وتذكرهم بجدهم سليمان وما فعله معه مؤكدة لهم أنه ينطبق عليه المثل القائل: **يتمسكن حتى يتمكن**..

وهو مستمر على هذا الحال لا يتعظ ولا يعتبر..

لم يتعظ بوفاة معظم أقاربه..

ولم يتعظ حتى بوفاة والده على الرغم من كونه يخاف من الموت ولا يطيق ذكره..

كانت هذه الصور من تاريخ الوالد تنطبع في ذهن حسين من دون إخوته لاختلاف ميولهم عنه، وقد دفعت به إلى تكرار الذهاب لحي والدته وتفقد الشارع الذي كان يقع فيه بيت جده سليمان حيث ولد، بعد أن بيع وهدم وبرزت مكانه بناية جديدة..

وهذا الحي هو الذي كان يقطن فيه أخواله وخالاته أيضاً قبل رحيلهم وكان حسين كثير المرور عليهم والسؤال عنهم..

وأثناء تواجده معهم كانت تفتح سيرة والده وسوء معاملته لشقيقتهم وطباعه المعوجة..

كان أخوال حسين يؤكدون له دائماً أنهم كانوا رافضين زواج شقيقتهم من أبيه إلا أنه بتصنع التدين كسب الوالد إلى صفه..

واستمر حسين على تجواله في حي والدته حتى بعد رحيل جميع أشقائها وشقيقاتها، متوقفاً أمام الأماكن التي كانت تقع فيها محلات جده التي أضاعها أخواله بعد رحيله وأصبحوا من المفلسين..

وانتهى الحال بخاله علي إلى الوقوف بعربة صغيرة يبيع فيها الطعمية في الشارع الذي عاش فيه مجده وأمام المحلات التي كان يملكها أيام السعد وسعة العيش..

وانتهى الحال بخاله محمد إلى السكنى بالمقابر..

حاول حسين كثيراً أن يقنع والدته بالرحيل معه من هذا البيت وترك هذا الرجل الذي يتفنن في تعذيبها وتفريغ عقده فيها، وقد كاد يوماً أن يقتلها لولا وجوده في البيت وقتها وتصديه له، ومنعه من ارتكاب جريمته، وكانت والدته ترفض على الدوام ترك البيت والبعد عن أولادها رغم معاناتها منهم وشقائها بسببهم..

وحدث أن مرضت والدة حسين ودخلت المستشفي لتلفظ آخر أنفاسها فيها وتألم حسين كثيراً لهذا الخبر الموجع..

وما زاد من ألمه أنه لم ير من أبيه أي علامة تدل على تأثره ووجيعته لهذا الخبر فقد انطلق يطلب الطعام ولما جاءه انقض عليه يأكله في نهم شديد وكأن شيئاً لم يكن..

وما زاد من آلامه أكثر هو أنه رأى إخوته حالت بلادة حسهم وغباوة طبعهم التي ورثوها عن أبيهم دون أن يشعروا بهول ما جرى، وفقدان الأم الحنون التي كانت ترعاهم وتصد عنهم هجمات أبيهم الدائمة عليهم، وتدافع عن حقوقهم، ولو كان ذلك على حساب كرامتها وامتهانها..

وإخوة حسين الذين رحلوا وفي مقدمتهم حسن لم يذرف عليهم والده دمعة واحدة، بل كان كثيراً ما يصيح فيهم غاضبا بقوله: **أنا سوف أدفنكم واحداً واحداً بيدي هاتين**، وكان القدر قد منحه فرصة دفن بعضهم ليزداد عتواً ونفوراً..

وعلى رأسهم شقيقه الراحل عبد الفتاح الذي تمكن رغم ظروف العائلة الصعبة في الصعيد من التفوق في دراسته ودخول جامعة أسيوط ليصبح طالباً في كلية الهندسة..

وأقام مع مجموعة من زملاءه في فندق قديم يقع على شاطئ النيل بمدينة أسيوط على مقربة من الجامعة..

إلا أن القدر لم يمهله الفرصة ليكون مهندساً حيث سقط الفندق بمن فيه من الطلاب في النيل وكان عبد الفتاح من بين ضحايا هذا الحادث..

وبعد وفاة الوالدة قرر حسين أن يطوي صفحة هذه الأسرة ويقطع صلته بها إلى الأبد خاصة بعد أن طال عمر والده حتى تجاوز التسعين عاماً ومازال على حاله لم يتغير..

لكن عدالة الله قد طالته في أواخر حياته حين اضطر لدخول المستشفي لإجراء عملية (البروستاتا) وتمت العملية بنجاح وتقرر خروجه بعد أيام..

إلا أنه أصابه الضجر لتأخر وصول الطعام إليه من البيت الذي كان قريباً من المستشفى، ودفع به الغضب إلى التحرك من سريره للبحث عن طعام لدى الباعة المنتشرين حول المستشفى، وكانت النتيجة هي سقوطه على أرضية المستشفى وكسر ساقه، وبعد أن كان من المقرر له أن يخرج منها بعد أيام أصبح من ساكنيها في قسم العظام..

وأحدث وجوده ضجيجاً في المستشفى بسبب كثرة مطالبه ومشاكساته للأطباء وتعاركه مع الممرضين والممرضات..

وازدادت مشاكله فيها بعد أن تبين له أن ساقه لن تعود إلى حالتها الطبيعية، وأنه سوف يقضي بقية عمره عاجزاً خاصة بعد أن ضعف بصره واضطر إلى الاستعانة بنظارة..

وخرج من المستشفى بعد مدة ليعود إلى البيت ويوضع في أحد أركانه المظلمة ليصبح رهين المحبسين حيث فقد بصره بعد فترة قصيرة..

ومنذ ذلك الحين استخف به بقية أولاده وسقطت هيبته من عيونهم وأخذوا ينالون منه ويسبونه..

وكان سلاحه الوحيد في مواجهتهم هو قول: **لا حول ولا قوة إلا بالله حسبي الله ونعم الوكيل..**

وتحققت فيه نبوءة والدته التي كانت تكثر من الدعاء عليه ليل نهار قبل رحيلها بعد أن أقعدها المرض وعجزت عن الحركة و فقدت بصرها..

وظلت على حالها هذا سنوات طويلة مقعدة في مدخل البيت بالصعيد لا يعبأ بها أحفادها بل ينالون منها..

واستغاثت به أكثر من مرة فرفض تقديم العون لها فدعت الله أن يصيبه ما أصابها..

وظل والد حسين قابعاً في ركنه المظلم ذليلاً مستضعفاً يستجدي أولاده كي يقدموا له الطعام أو كوباً من الشاي ويلقى شتى صور السب واللعن والدعوات بتعجيل موته..

ولم تكن نقمة أولاده عليه وكراهيتهم له بسبب معاملته القاسية لهم فقط، بل كانت أيضاً بسبب فشله في تكوين ثروة لهم يعتمدون عليها طوال الفترة الطويلة التي قضاها في القاهرة، والتي تجاوزت الستين عاماً، وهم يرون العديد من أقاربه ومعارفه الذين هاجروا إلى القاهرة بعده بسنوات طويلة قد أصبحوا من ملاك العمائر والأراضي وأصحاب الثروات..

واستمر والد حسين رهين المحبسين أكثر من عشرين عاماً حتى وافاه الأجل بعد أن بلغ من العمر عتياً..

■■■

5
الدين والبطون

كانت تجربة حسين مع الجماعات الإسلامية بالإضافة إلى سلوك والده قد لفت نظره إلى نموذج التدين المصري، وطريقة تناول المصريين للدين التي تتسم بالسذاجة والسطحية والنفاق أيضاً..

وتبين له أيضاً أن التدين المصري هو تدين هش يعيش على الحكايات والخرافات، ويبتعد عن حقيقة الدين وقضاياه الكبرى، وكثيراً ما تتحول الخرافات إلى مسلمات يصعب الحوار بشأنها أو التشكيك فيها..

وفي عام ١٩٦٨م سرت شائعة في الوسط المسيحي تقول بظهور العذراء فوق إحدى الكنائس بشمال القاهرة، وما كان من المسيحيين إلا أن هرعوا نحوا الكنيسة المقصودة من كل مكان، وتجمهروا حولها في انتظار رؤية العذراء وظلوا معتكفين حولها لأيام طويلة..

ولم يقتصر الأمر على المسيحيين وحدهم بل شاركهم الكثير من المسلمين هذا الاعتكاف..

كذلك هناك العديد من الشائعات التي سرت بين المسلمين حول المسيحيين، تحولت إلى مسلمات لديهم غير قابلة للنقاش أو المراجعة، منها شائعة تقول: **إن المسيحيين يسعون لاستعادة مصر من المسلمين وتحويلها إلى دولة مسيحية**، وأن الأطباء المسيحيين يحقنون النساء

المسلمات بمادة تؤدي إلى العقم، بالإضافة إلى ما يشاع عن محاولاتهم إدخال بعض شباب المسلمين في المسيحية..

وتكفي شائعة واحدة من مغرض أو جهة ما لإشعال حرب طائفية بين المسلمين والمسيحيين وهو ما نراه يحدث كثيراً في مصر اليوم..

ومن الشائعات الشهيرة التي سرت بين مسلمي مصر منذ أكثر من عقدين وتم استغلالها ضد المسيحيين، تلك اللوحة المزعومة التي قيل أن مصور التقطها لمجموعة من الأشجار الملتفة حول بعضها في غابة ألمانية تشكل كلمة الشهادتين: **لا إله إلا الله محمد رسول الله**..

وقد أصدرت السفارة الألمانية في القاهرة بياناً نفت فيه وجود هذه الأشجار في غاباتها، بعد أن بيعت من هذه اللوحة ملايين النسخ وأصبح المسلمون يزينون بها جدران بيوتهم ومحلاتهم..

وقابلية العدوان على الآخر صفة ملازمة للشخصية المصرية المكبوتة جنسياً والمحاصرة نفسياً والمضغوطة معيشياً، والتي تعاني من حرمان دائم في العيش الكريم، وهو ما يفتح الأبواب على مصارعها للصدام بين المسلمين والمسيحيين في أي وقت..

ورجال الأزهر الذين يمثلون الإسلام الرسمي أو الحكومي في مصر يمارسون التدين بصورة نفاقية، فهم يمارسون النفاق تارة مع الحاكم وتارة مع أنفسهم التي يبدو للمراقب تناقضها مع ما يقولون..

وهم فوق ذلك يحكمهم العقل الروائي الذي يحكم الجماعات الإسلامية والطرق الصوفية والعوام، والطريف أن العديد منهم ترك الأزهر واحترف الغناء والتلحين مثل **الشيخ سلامه حجازي والشيخ سيد درويش والشيخ زكريا أحمد والشيخ سيد مكاوي** ومن احترف التمثيل مثل **الشيخ إبراهيم سعفان**..

وهناك جدل يسود الساحة الثقافية بمصر ما بين الحين والآخر حول العديد من الروايات النبوية التي تتصادم مع العقل، والتي يرى العديد من المثقفين ضرورة نبذها باعتبارها من الخرافات..

إلا أن رجال الأزهر وغيرهم من الدعاة الجدد وعناصر الجماعات سرعان ما ينتفضوا للدفاع عن هذه الروايات باستماتة مطلقين شتى الاتهامات والأحكام في مواجهة الناقدين لهذه الروايات..

وحدث أن قام أحد الكتاب بالتشكيك في رواية منسوبة للرسول تدور حول قصة خرافية ملخصها: **أن هناك رجل كان يزور امرأة متزوجة في بيتها وكان زوجها يتأذى كلما وجده في البيت ولما عرض الأمر على الرسول قال للمرأة: أرضعيه..**

والمقصود أنها إذا أرضعته تصبح أمه من الرضاعة وتحرم بالتالي عليه مما يجعل دخوله عليها ليس فيه حرج شرعي..

والذي أثار الإشكال حول هذه الرواية هو: كيف لامرأة أن تكشف ثديها و ترضع رجلاً كبيراً..؟

وما قيمة إرضاع الكبير..؟

وتصدى رجال الأزهر والمفتي لهذا الكاتب مدافعين عن الرواية مثبتين صحتها متهمين الكاتب بالجهل وعدم التخصص..

ونفس هذا الصدام وقع مع الذين أنكروا الرواية التي تقول: **سحر رسول الله حتى كان يتكلم بالقول ولا يدري ويأتي النساء ولا يأتيها..**

والرواية التي تقول: **كان رسول الله يطوف على نسائه التسع في ليلة واحدة وبغسل واحد..**

والرواية التي تتحدث عن **لكم موسى لملك الموت وفقأ عينه فذهب يشكوه لله..**

والرواية التي تقول: **لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة**..

والأخرى التي تقول: **أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**..

والروايات الأخرى التي تتعلق بصفات الله والتي تقول **بنزول الله كل ليلة من السماء إلى الدنيا، وأن الله جالس على عرشه في السماء السابعة، وأن المؤمنين سوف يرونه يوم القيامة ويكلمونه، وأنه يضع قدمه في النار كي يوسعها لتستقبل المزيد من الكفار، وانه خلق آدم على صورته، وأنه يضحك ويغار ويفرح وله يد ووجه وأصابع**، وغير ذلك من الروايات..

والتمسك بمثل هذه الروايات دليل على سطحية العقل المصري الذي ينتصر دائماً للخرافة على حساب المنطق والعقل..

وظاهرة انتشار اللحى والجلاليب البيضاء القصيرة وغطاء الوجه بالنسبة للمرأة بين الإسلاميين في مصر، ونشوب المعارك بسبب هذه الشكليات إنما هو دليل ساطع على تسلط العقل الروائي..

وما يجب قوله هنا هو أن هذه الصورة من التدين هي التي تتلائم مع الشخصية المصرية الضعيفة المهادنة للواقع، والتي تنتقي من الدين شكلياته وتتجنب تبعاته الكبرى التي لا تحتملها..

وتبدو صورة التدين المصري الهش والمسطح من خلال تعلقهم بالمساجد، باعتبارها أماكن مقدسة وملاذاً نفسياً يريحهم من هموم الواقع، دون معرفة بهويتها وكيفية إقامتها ومن الذي أقامها..؟

والمساجد في مصر أكثر من أن تحصى وأغلبها يعود للعصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني، وهي جميعها من صناعة الحكام الذين أدركوا قيمة المسجد وأهميته في تسويس المصريين وتخديرهم بواسطته، وباقي المساجد الكبرى من صناعة الحكومات الأخرى

المتعاقبة، والأثرياء من الباشوات والبكوات وأبناء العائلات التي حكمت مصر في الماضي، مثل مسجد الرفاعي المواجه لمسجد السلطان حسن بحي القلعة الذي بنته حفيدة الخديوي إسماعيل، وجعلته مدفناً للعائلة الحاكمة، والذي دفن فيه شاه إيران مؤخراً..

وفي العصر الحديث ظهر التنافس الكبير بين المصريين لإقامة المساجد لكونها وسيلة تقرب للجمهور المصري، ووسيلة أيضاً لأصحاب البنايات الذين يحولون الطابق الأرضي من بناياتهم إلى مساجد للحصول على رضا الحكومة والإعفاء من الضرائب، بالإضافة إلى اعتقادهم في الرواية التي تقول: **من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة..**

ودخل حلبة المنافسة رجال الأعمال والمطربين والراقصات وذلك بهدف تطهير أموالهم وتيسير أعمالهم وستر حالهم..

وكان حسين من الرافضين لهذه الظاهرة ورفضه لها يقوم على أساس أنها فقدت دورها، وأصبحت نافذة دعائية للحكام ولأصحابها بالإضافة إلى تكاثرها الغير مبرر، وأن الأديان لا تقوم على الصروح وكثرة المآذن، والله من الممكن أن يعبد في أي مكان..

كل ذلك يجعل من الأولى الاتجاه لبناء المساكن للمحتاجين أو المستشفيات للفقراء أو إقامة المشاريع التي تخفف من حدة البطالة..

وكرد فعل لكثرة المساجد اتجه المسيحيون إلى الإكثار من بناء الكنائس كمحاولة لإثبات الوجود..

وهو ما يؤدي دائماً لاستفزاز المسلمين وإثارتهم ووقوع الصدامات الطائفية، تلك الصدامات التي تنحصر في محيط المسيحيين

الأرثوذكس الذين يمثلون الأكثرية، دون غيرهم من الروم الكاثوليك والإنجيليين الذين يمثلون أقلية، وتعود أصولهم إلى الشام واليونان وايطاليا وغيرها..

وسبق أن أعلنت الحرب على حسين وهي لا تزال قائمة على صفحات الصحف و(الانترنيت) بسبب نقده لمثل هذه الظواهر التي تقوم على روايات، والتي يعدها الإسلاميون من سنة الرسول، ومنكرها منكر لسنة الرسول ومنكر السنة في منظورهم كافر..

وفي شهر رمضان تبرز الصور النفاقية بين المصريين بدرجة أكبر حيث ترى الداعرات يتوقف معظمهن عن ممارسة الدعارة، والراقصات يتوقفن عن الرقص، ومن لا تتوقف عن الرقص منهن ترقص في جلباب طويل يستر جسدها..

ويكثر عدد المصلين والمداومين على الاعتكاف في المساجد ويكثر أيضاً الشحاذين الذين يعدون هذا الشهر فرصة للحصول على أكبر كم من الصدقات..

ويزيد التلفزيون الحكومي والقنوات الفضائية من جرعة اللهو والمسلسلات والأفلام لتسلية الصائمين نهاراً، كما تزيد الحفلات الغنائية والمسرحيات ويكثر السهر على المقاهي ليلاً..

وشهر رمضان يعد فرصة ذهبية للفقراء والمعدمين والكادحين الذين يتوقون لأكل اللحوم وفاخر الطعام، حيث تكثر فيه ما أطلق عليه (**موائد الرحمن**) وهي موائد يقيمها الأثرياء والفنانين، وحتى الراقصات والحزب الوطني أيام المخلوع في الشوارع والمساجد..

وموائد الرحمن التي تقام في الأحياء الشعبية مثل حي الحسين أو السيدة زينب أوالتي يقيمها الحزب الوطني، هي موائد تعد متواضعة

بالنسبة للموائد التي تقيمها الراقصات والفنانين في أحيائهم الراقية، والتي تقدم الوجبات الجاهزة من أرقى المطاعم خاصة المطاعم الأجنبية مثل كنتاكي وومبي وهارديز وغيرها..

وقد هاجمت الجماعات الإسلامية موائد الراقصات واعتبرت طعامها من المحرمات، إلا أن شيخ الأزهر الراحل تصدى للأمر وأفتى بجواز الأكل من موائد الراقصات..

وقرب موعد الإفطار تحدث بالشارع المصري فوضى كبيرة بسبب التسابق من أجل الوصول إلى البيوت قبل موعد الإفطار..

ويحدث تسابق أيضاً بين الحافلات العامة من أجل الوصول إلى موائد الرحمن في الأحياء الراقية، والحصول على مكان فيها حيث يأخذ السائق السيارة بركابها إلى جهة المائدة غير مكترث بهم، ومن اعترض فعليه النزول من الحافلة وتكملة الطريق سيراً على الأقدام..

وتبدو هناك صورة أخرى للتدين المصري لمسها حسين من خلال مداومته على حضور الاحتفالات التي تقام بمناسبة إحياء ذكرى المراقد الكبرى، مثل السيدة زينب أو الحسين أو السيدة نفيسة بالقاهرة، أو السيد البدوي بمدينة طنطا في محافظة الغربية..

كانت هذه الاحتفالات أو الموالد كما يسميها المصريون تعكس مجموعة من الظواهر الاجتماعية الثابتة في الواقع المصري من قديم والتي كان حسين يهتم برصدها..

والموالد في مصر على حالتها القديمة كما وصفها الجبرتي في تاريخه لم تتغير صورتها، فهي لا تزال تكتظ بالسوقة والفلاحين والمجاذيب والمشعوذين والمتسولين واللصوص والمحتالين والشاذين جنسياً، بالإضافة إلى عاهرات الدرجة الثانية..

وقـد ابتكر المصـريون العـديد من المهن التي ارتبطت بالموالد والتي تتلائم مع طبيعتهم الكسولة الميالة للشهوات منها :

مهنة الرقص والغناء..

ومهنة السحر والألاعيب البهلوانية..

ومهنة اللعب مع القرود..

ومهنة القمار ولعبة الثلاث ورقات..

كذلك يكتظ المولد بالباعة من مختلف الأصناف :

فهناك من احترف بيع الشاي..

وهناك من النسـاء من احـترفن بيع الفـول المسلوق أو مـا يطلق عليه الفول النابت، وبيع الأطعمة الشعبية البسيطة مثل الطعمية والباذنجان المقلي، بالإضافة إلى باعة الكشري..

كذلك هناك من احترف بيع الحلوى الشعبية..

ومن احترف بيع الأقمشة الشعبية والحلي المقلدة..

ومن احترف بيع العطور..

بالإضافة إلى باعة المخدرات..

وكل هؤلاء يتنقلون مع الموالد في جميع ربوع مصر..

وكان حسين قد شاهد في مولد السيدة زينب بالقاهرة رجلاً يعرض بقرة بخمسة أرجل كعجيبة من العجائب ضمن خيمة السيرك..

وتركيز المصريون من قديم على مثل هذه المهن غير المنتجة بالإضافة إلى مهنة الفلاحة هو الذي جعل الشعوب الأخرى تسخر منهم وتستخف بهم وتستعمرهم..

وتبدو الطرق الصوفية هي التيار الإسلامي الوحيد البارز في دائرة هذه الموالد من دون بقية التيارات الأخرى التي تقاطعها وترى أنها من البدع وتسودها المنكرات..

والحال حول المراقد الكبرى مثل مرقد رأس الحسين أو السيدة زينب أو السيدة نفيسة أو السيد البدوي لا يتغير طوال العام، فالمشاهد يرى الزحام الدائم والمستمر من حولها ويرى جموع الفقراء والمتسولين عاكفون من حولها، والباعة يطوفون ببضائعهم بين المارة والزائرين..

وما يزيد في فترة الموالد هو السرادقات وأصحاب الألاعيب الذين ينجذب نحوهم العامة، وأصحاب المهن غير المشروعة الذين يستغلون شدة الزحام للاستتار عن عيون رجال الأمن..

إلا أن المشاهد يرى فروقاً كبيرة بين مرقد السيدة التي يطلق عليها المصريين العديد من الأسماء منها: **أم هاشم وأم العواجز والست الطاهرة** وبين مرقد رأس الحسين..

ويعود ذلك لكون مرقد رأس الحسين يقع في قلب القاهرة القديمة المنطقة السياحية الرئيسية في القاهرة، التي تخضع لرقابة حكومية شديدة بينما مرقد السيدة زينب موجود من قبل بناء القاهرة ويقع خارجها، فمن ثم هولا يحظى بنفس الاهتمام الذي يحظى به رأس الحسين..

من هنا اكتظ مرقد السيدة زينب بالمتسولين واللصوص والباعة الذين يضايقون المارة والزائرين..

ومن الطرائف التي كان يشاهدها حسين حول هذا المرقد ما يفعله هؤلاء بالقادمين لتوزيع الأطعمة والصدقات هناك..

رأى حسين أحد العميان يجلس على باب المرقد في الوقت الذي برزت فيه سيارة، وبمجرد أن وقفت أمام الباب حتى أنقض عليها هؤلاء وأحاطوا بها، مادين أيديهم إلى داخلها وهم يتصايحون ويتدافعون لتختفي معالم السيارة وسطهم ولم يعد يظهر منها شيء..

والطريف في هذه الحادثة أن الأعمى كان أول الواصلين إلى السيارة المادين أيديهم داخلها، وكان أيضاً أول الخارجين من وسط المتقاتلين وفي يده رغيف من الخبز محشواً باللحم انطلق به بعيداً ليأكله في نهم وسرور..

وهناك أنواع من المجانين رصدها حسين في دائرة الإسلاميين كان أكثرهم يتواجد حول هذه المراقد، وهي ظاهرة قديمة أبرزها العديد من المؤرخين..

ومن هؤلاء من ادعى الألوهية..

ومنهم من ادعى النبوة..

ومنهم من ادعى أنه المهدي المنتظر..

بل إن هناك بعض جماعات التكفير المعاصرة تقوم بسرقة ما يمكن سرقته من الناس الذين يعدون كفاراً مستحلّين في منظورهم، وتقوم باختطاف النساء المتبرجات من الطرقات واغتصابهن..

ومن قصص هؤلاء المجانين ما رواه الجبرتي في حوادث عام ١٧٣٣م حين ظهر شخص يدعى الدكروري وادعى النبوة وأنه صعد إلى السماء وصلى بالملائكة وأذّن له جبريل..

وكان أن قبض عليه بعد أن تبعه الكثير من العامة وضرب واستتيب فرفض التوبة واعتبر مرتداً وتقرر قتله فكان يردد حين موته قول الله: ﴿**فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل**﴾..

ولازال حسين يذكر ما حدث له أيام الجماعات حين ذهب للتبليغ في صعيد مصر، وبلغه أن هناك رجل يدعي أنه المهدي في إحدى القرى على شاطئ النيل، فقرر أن يذهب لملاقاته، وما أن وصل إليه حتى وجد على بابه جمهور غفير من الناس ينتظرون المثول بين يدي المهدي المزعوم..

ووجد امرأة عجوز تجلس على بابه عرف حسين من المنتظرين أنها الحاجب وحلقة الوصل بين الزائرين والمهدي المحتجب..

إلا أن حسين تجرأ وطلب من العجوز الأذن بالدخول عليه، فأبدى الحاضرون تذمرهم من هذا الطلب، وصاح فيه أحدهم قائلاً: كيف تريد الدخول عليه بهذه البساطة وأنا لي أكثر من أسبوع أنتظر على بابه ولم يأذن لي بعد..؟

وأصيب حسين بدهشة كبيرة خاصة بعد أن تبين له أن الآخرين ينتظرون مشاهدة وجهه الكريم منذ أيام..

واستسلم للأمرالواقع وأحس أنه تورط خاصة بعد أن وجد الجميع بما فيهم العجوز ينظرون إليه بعين الارتياب بسبب هيئته السلفية التي تدل على كونه من الجماعات المعادية، التي ترفض زيارة أولياء الله والاحتفاء بهم واعتبار الزائر والمتوسل بهم من المشركين..

وهنا وجه أحدهم لحسين سؤالاً هذا نصه: ماذا تقول في كرامات الشيخ ويقصد به المهدي..؟

وكان جواب حسين قد كشف عن هويته وأثبت أنه من الأعداء فوقف منتبهاً وهو يتراجع إلى الوراء..

وانقض الحاضرون عليه ضرباً بالأيدي وركلاً بالأقدام والعجوز تلهب حماستهم بصيحاتها وحلو الكلام..

وتمكن حسين من الإفلات منهم وأطلق ساقيه للريح، وبينما هو يجري إذ نظر خلفه فوجد القرية بكاملها تجري وراءه تتقدمهم الكاهنة العجوز، إلا أن حسيناً كان رشيقاً خفيف الحركة واستطاع أن يسبقهم ويصل إلى محطة القطار..

وما أن رآه ناظر المحطة حتى أسرع بفتح باب مكتبه وأدخله ثم أغلق عليه الباب وهو يقول: ما الذي أتي بك إلى هنا ألم تعلم بخبر من سبقوك من إخوانك الذين علقوهم على جزوع النخل..؟

وحوصرت المحطة من قبل أتباع المهدي..

وهددهم الناظر بإبلاغ الحكومة..

فقالت الكاهنة العجوز: لن نبرح هذا المكان حتى تضعه في أول قطار ليرحل من هنا إلى غير رجعة..

ووافق الناظر وتم وضع حسين في القطار القادم المتجه للشمال وانسحبت العجوز برجالها وهي تتابع ببصرها القطار وهو يتحرك من المكان بينما كان حسين يتابعها من نافذته..

ونظرا لقوة التيار الصوفي ووجود نسبة كبيرة من الأشراف الطالبيين في صعيد مصر، ووجود أكبر كم من الأضرحة والمقامات بالقرى والمدن يحتفي بها كل عام، وهي محل تقديس وإجلال وتعظيم أهل الصعيد، فقد حال هذا دون انتشار الجماعات السلفية فيه والتي يعتبرونها عدوة لأهل البيت..

ومن صور الخرافة السائدة عند جماعة القرآنيين الذين ينكرون الأحاديث النبوية تحريمهم قتل الحشرات باعتبارها روح خلقها الله، ورفض العمل سيراً مع نص القرآن الذي يقول: ﴿**ورزقكم في السماء وما توعدون**﴾..

والعناصر الإسلامية التي تكفر الحكومة ترفض دخول الجيش باعتباره جيش الطاغوت أو التعلم في المدارس، وركوب المواصلات الحكومية وتفضل ركوب الحمير أو السير على الأقدام..

ومؤخراً تم اكتشاف مجموعة من الشباب تمارس طقوساً غريبة في أماكن خاصة تبين فيما بعد أنهم من عبدة الشيطان..

وتم القبض على واحد من السلفيين وتقديمه للمحاكمة بتهمة قتل ابنته التي لم تتجاوز العشر سنوات..

وكان القاتل ضباط سابق في الشرطة وبرر قتل ابنته بأنه كان يحاول إخراج الجن من جسدها..

ومن فترة قريبة تم القبض على طبيب في الإسكندرية يدعى بريقع اتهم بادعاء الألوهية كذلك تم القبض على ترزي يدعي النبوة..

ومن صور التلاعب بالدين السائدة في الواقع المصري من قديم تلك الصور التي ارتبطت بالعديد من مدعي الانتساب للرسول..

البعض من هؤلاء ينتمون للأشراف عن طريق التزوير من قرون طويلة بحيث يصعب اكتشاف أمرهم اليوم..

والبعض الآخر يتصور أن انتسابه للرسول يعفيه من الفرائض الشرعية ويؤمنه من الحساب في الآخرة..

هذا بالإضافة إلى صور النصب والاحتيال التي يمارسها آخرون تحت مظلة الانتساب للرسول..

ولازال حسين يذكر قصة الشيعي الأعرج الذي كان قد تعرف عليه في معرض الكتاب..

وحدث أن أصابته لوثة عقلية بعد عودته من العمرة وعثوره على مسبحة في أرض الحرم المكي، ظن صاحبنا أن فيها قوة غيبية تخاطبه

كلما اختلى بنفسه وردد الأذكار والأدعية بواسطتها ومرة وراء مرة ظن أن المهدي هو الذي يخاطبه..

وبعد فترة خرج على الشيعة يطلب منهم البيعة للمهدي فلم يجبه أحد لعدم قناعتهم به..

ويوماً زار أحد كبار الشيعة من المثقفين الذين تعرف عليهم بواسطة حسين وطلب منه البيعة فتهكم عليه قائلاً: كيف تتحدث باسم المهدي الذي سوف يرفع رآية الجهاد في الأرض، وقد أعفى القرآن الأعرج مثلك من فريضة الجهاد..؟

فخرج من عنده ولم يعد وأصيب بعدها بأزمة نفسية أقعدته في البيت معتزلاً الجميع، وترك شعر رأسه ولحيته وأظافره أيضاً وأصبحت صورته كصورة أصحاب الكهف..

وضاقت به أسرته واستنجدت بطبيب شيعي متخصص في الأمراض النفسية كان يعمل في مستشفي قريب منهم..

وقرر الطبيب نقله إلى المستشفى على الفور حيث خضع لجلسات كهربائية، وتم قص شعره ولحيته وأظافره ولم تمض سوى شهور حتى انتقل إلى العالم الآخر..

وتذكر حسين قصة الشيعي الآخر سائق التاكسي الذي لا يقل جنونه عن السابق ذكره، والذي أرسل رسالة للقائم بالأعمال الإيراني في القاهرة يحذره فيها من خطر قريب يتهدد إيران، وهو الوحيد الذي يعرف سره ويقدر على منعه، وطاالب إيران مقابل أن يكشف هذا السر بخمسة ملايين دولار..

وقصة واحد من حملة الشهادات الأزهرية في اللغة العربية الذي التقي به عندما كان يعمل في ليبيا، وطلب منه مساعدته في البحث عن

عمل، لكن حسين لم يسترح له إذ لمس فيه النفاق والتلون والجهل أيضاً..

وكان القذافي وقتها قد أعلن الثورة الشعبية التي أتاحت الفرصة للسوقة والعوام لترأس الوزارات والمدن والمؤسسات والأحياء واضطهاد المثقفين وأصحاب العقول..

وأسرع صاحبنا نحو أعضاء اللجنة الشعبية في الحي الذي يقيم فيه بمدينة طرابلس، والتصق بهم مقدماً لهم شتى صور الطاعة والولاء، فقاموا بتعيينه إماماً لمسجد الحي، وبعد أن كان شافعياً تحول مالكياً حتى يجاري الليبيين أصحاب المذهب المالكي..

وهكذا ارتدى الزي الأزهري وأصبح شيخاً وهو لا يفقه شيئاً وتم توجيهه نحو استراليا، واستقر هناك وحصل على الجنسية الأسترالية وأصبح مفتي استراليا، ونيوزلندا..

وبعد سنوات طويلة جاء إلى مصر مدعواً من قبل الأزهر لحضور أحد المؤتمرات والتقى بالفرعون المخلوع، إلا أنه حين خروجه من مصر تم القبض عليه في مطار القاهرة، بعد أن ضبطت معه عدة قطع أثرية كان يحاول تهريبها للخارج..

ونشر الخبر في الصحف وتدخل السفير الأسترالي وتم إخلاء سبيله ليخرج من مصر إلى غير رجعة..

إلا أنه أصبح من المداومين في المؤتمر السنوي للوحدة الإسلامية الذي يقام كل عام في إيران ومؤخراً تم عزله من منصب المفتي..

ومصر على مر التاريخ تنجب الكثير من هؤلاء المنافقين والمختلين عقلياً وأصحاب الشطحات والزنادقة والمشعوذين..

وفي تقرير لمركز البحوث الجنائية والاجتماعية صدر مؤخراً أشار إلى أن المصريين ينفقون عشرة مليار جنيه سنوياً على الخرافات والدجالين، وأن هناك دجال لكل (١٢٠) مواطن، وأشار أيضاً إلى أن نصف نساء مصر يذهبن للدجالين من أجل حل مشاكلهن..

وتركيبة المصري المائل للخرافة تساعد على انتشار الدجل والشعوذة وتجعل مصر في مقدمة الدول التي تحوي أكبر كم من الدجالين والمشعوذين..

وهو ما ساعد أصحاب الطرق التي تتمسح بالتصوف على العبث بعقول البسطاء باسم أهل البيت، وإضفاء القداسة على أنفسهم وعائلاتهم..

وفي مصر نشأت البدع التالية:

بدعة تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي التي برزت في عام ٤٠٨هـ وتولدت منها فرقة الدروز..

وفرقة الإسماعيلية التي كان يمثلها الحاكم كانت فرقة واحدة حتى زمن المستنصر الفاطمي ثم انشقت بعده إلى فرقتين:

النزارية التي تعبر عنها اليوم الأغاخانية..

والمستعلية التي تعبر عنها اليوم طائفة البهرة..

و بدعة الإرهاب الذي ساد العالم اليوم باسم الجهاد بزعامة المصريين المنتشرين في أفغانستان وباكستان واليمن وأوربا وغيرها..

وبدعة التكفير الذي انتقل منها إلى بلدان العالم..

والطريف أن عناصر التكفير المنتشرون في أوربا يمارسون الرذيلة مع النساء هناك تحت مظلة الاستحلال..

وقد التقى حسين بأحد هؤلاء المقيمين في أوربا أثناء فترة اعتقاله والذي قص عليه الكثير من مغامراته مع النساء هناك، حتى أنه كان على علاقة بأم وابنتها في آن واحد..

كذلك من يطلق عليهم الدعاة الجدد من السلفيين الوهابيين وغيرهم الذين غزوا القنوات الفضائية ونشروا سفاهاتهم باسم الدين في كل مكان..

ولم يقتصر أمر التلاعب بالدين على مستوى الرجال بل امتد إلى النساء أيضاً، فبرز العديد من النسوة بعضهن كن مطربات وممثلات وراقصات وأطلق عليهن اسم التائبات..

وبعضهن من قواعد البيوت وأخريات من مدرسات الأزهر ونساء الإخوان، بالإضافة إلى الباحثات عن دور، وقد تحولن جميعهن إلى داعيات وانتشرن في صالونات بيوت الأثرياء والفضائيات..

وكان حسين يعتبر أن الدين في مصر أصبح مهنة من لا مهنة له ووسيلة للاسترزاق والتكسب، حيث ابتدعت العديد من المهن التي بهدف ملأ البطون الفارغة بواسطة الدين..

وعلى رأس هذه المهن مهنة قراءة القرآن في المآتم التي دخل عن طريقها الكثير من المقرئين عالم الأثرياء وهي من الظواهر السائدة في المجتمع المصري وكل مقرئ له سعر وسعره يتحدد حسب شهرته وحسب مدة تلاوته للقرآن..

وهناك الفقي الذي يتلو القرآن على المقابر وهو يعد من الفقراء المعدمين ويقبل بأي أجر، حتى لو كان بعض حبات من الفاكهة أو التمر أو الكعك، بالإضافة إلى المهن التي ترتبط بالموالد والأضرحة واستخراج الجان وكتابة الأحجبة والتعاويذ المنتشرة من قديم..

وقد انتشرت في مصر مؤخراً ظاهرة العلاج بالقرآن بين عناصر الجماعات التي عدها الأطباء وأساتذة علم النفس صورة من صور التلاعب بالدين..

وانتشرت أيضاً بين المسيحيين كرد فعل ظاهرة العلاج بالإنجيل في الكنائس والتي جذبت نحوها المسلمين اليائسين من الشفاء في دائرتهم..

كذلك برزت ظاهرة بيع الأذكار والأدعية والفتاوى والخطب وتفسير الأحلام وصكوك الغفران، عن طريق الهواتف والقنوات الفضائية التي فتحت على مصارعها أمام الوهابيين من أجل الريال والدولار..

وعندما فتحت الساحة المصرية أمام المد السعودي على يد السادات وفتحت خزائن الوهابية، هرع السوقة وباعة الأرصفة ومن لا مهنة له نحو الكتب التي تدعم هذا المد الإرهابي، وتسوق أفكاره المتخلفة تحت شعار الدعوة إلى الله وخدمة الدين، بل وتهريبها إلى الدول المجاورة التي تحظر مثل هذه الكتب دون حساب للعواقب والآثار..

وقد عاصر حسين هذه الظاهرة التي لا تزال آثارها ممتدة حتى الآن وأنتجت العديد من صور الإرهاب والتخلف السائدة بين المصريين باسم الدين والتي انتقلت منها إلى خارج مصر..

وأصحاب اللحى والجلاليب القصيرة من السوقة والأراذل الذين ساهموا في نشر هذه الكتب وتسويقها قد تحول بعضهم إلى دعاة ومبشرين للسلفية الوهابية في كل مكان..

ونفس هذه الظاهرة من الممكن أن تتكرر في محيط الشيعة لو تقرر فتح الباب أمام المد الإيراني إذ سوف يهرع الجميع وفي مقدمتهم أصحاب اللحى والجلاليب القصيرة نحو خزائن الشيعة..

وبصورة عامة يظل المصري محترماً للدين راضياً عن الله طالما كان شبعاناً فإذا شعر بالجوع فإنه يكفر بالدين ويسخط على الله..

وتعد كثرة الجماعات وتنافرها وكثرة شطحاتها وعجائبها من أسوأ صور التلاعب بالدين السائدة في المجتمع المصري..

والمصريون في الحقيقة يتجملون بالدين وهو ما يبدو بوضوح من خلال ألأغاني وألأفلام والإعلانات والمسلسلات التي يصور الدين من خلالها كلعبة في أيديهم..

ومن خلال الدجل والشعوذة وتسخير الجان والأحجبة واستخدام الإنجيل والقرآن في علاج الأمراض..

ومن خلال استخدام الشعارات الدينية في مجال السياسة والبيع والشراء والتسويق وخلافه..

و التدين المصري يقوم على أبعاد نفسية لا عقلية حولت الدين إلى وسيلة تعويض عما يعانيه المصري، من بؤس وشقاء وحرمان في الدنيا بالجنة في الآخرة، ووسيلة تخدير أيضاً، وهو ما يفسر لنا الصبر الطويل على الظلم والفساد الذي يميز المصريين عن غيرهم من الشعوب..

والمصريون يتعاملون مع الله بسخافة شديدة وسلبية أشد إذ يلقون عليه بكل شئ، وهم لا يفعلون شئ..

وهو ما نراه بوضوح من خلال الجمل التي تتردد على لسانهم بصورة تلقائية مثل : **ربنا يسهل وكله على الله وربنا عايز كده..**

وبدا وكأن الله سبحانه يعمل عندهم..

■■■

6
سوق السفاهة

اتجه حسين إلى الكتابة للسينما والمسرح وابتعد عن السياسة والإسلاميين، وحمل مسرحياته وأفلامه وأخذ يطوف بها بين المسارح وشركات الإنتاج الفني..

إلا أنه فشل في تسويق أعماله وذلك بسبب عدم قدرته على التأقلم مع عناصر الوسط الفني ومجاراة أعرافهم وتقاليدهم وسهراتهم التي كان ينفر منها..

كان كثيراً ما يسمع همسات العاملين داخل أماكن التصوير وفي مكاتب المنتجين وحواراتهم الخاصة حول الفنانين والفنانات..

قال أحدهم لصاحبه: هل رأيت اليوم ثدى فلانة وهى تنزع ملابسها في مشهد غرفة النوم..؟

فيجيبه صاحبه: أنا رأيت من جسدها ما هو أكثر من ذلك..

وآخر يقول: المنتج أهدى (فيلته) لفلانه..

فيجيبه آخر بقوله: ولماذا يعطيها (الفيلا) وهو يأخذ منها ما يريد..

وآخرون يتحدثون عن المخرج الشهيرالشاذ جنسياً..

وفضيحة فلان مع فلانه..

وحال فلان المدمن..

وفلانة عاشقة الرجال..

وفلانة السحاقية..

وفلانه التي تجاوزت الستين عاماً ولا زالت تدعي أنها عذراء وتبحث عن ابن الحلال..

وفلانة التي كانت تنام في (الاستديوهات) ومكاتب المنتجين وأقامت علاقات مع الجميع، بداية من الموظفين ومساعدي المخرجين حتى العمال، إلى أن أصبحت نجمة تأمر وتنهي وتعطل التصوير حتى تفيق من النوم ثم تأتي بعد ذلك إلى التصوير وهي مخمورة..

والنجمة المشهورة التي أخذت أحد عمال (الاستديوهات) إلى بيتها وهي مخمورة لينام معها ولما أفاقت في الصباح ووجدته إلى جوارها على الفراش قامت بطرده من البيت..

ولم تكتف بهذا بل أبلغت عنه الشرطة ولفقت له تهمة دخل على أثرها السجن فأصابته لوثة عقلية..

وبعد خروجه من السجن انضم إلى مجانين الطرقات وأصبح منذ ذلك الحين يطلق عليه: **مجنون**.....

وسعياً وراء المال قام البعض من الممثلين والممثلات بتمثيل العديد من الأفلام الإباحية من إنتاج لبناني في فترة السبعينيات..

وكان حسين كثير التواجد في نقابة الممثلين وبالتحديد في مكتب وكيل النقابة الذي كان من أصدقائه وقراءه أيضاً، غير أنه لم ينجح في إدخاله الوسط الفني..

وأثناء ذهابه للنقابة يوماً رأى نقيب الممثلين وهو ممثل عجوز يطارد بعض الفتيات في الطريق العام..

وتبين له بعد ذلك أن هذه عادة من عاداته وأنه فوق ذلك يقوم بتصيد الفتيات بسيارته في الطرقات، وقد أغرق الحقل الفني بالراقصات ونساء الليل بعد أن دفعن له الثمن مقدماً..

وغير هذا الكلام كثير مما كان يتواتر في أذن حسين ويشاهده في دائرة الوسط الفني..

أما في أروقة (التلفاز) فقد كان المخرجون يضاجعون الراقصات والموظفات الطامحات للتمثيل في دورات المياه..

ومن أبرز الكتابات التي رصدت أحوال الفن والفنانين ما كتبته واحدة من نساء الوسط الفني، وهي **اعتماد خورشيد** التي كانت تملك واحداً من الاستديوهات وعرت هذا الوسط في فترة عبد الناصر..

وقد تم الكشف عن صلة الكثير من الفنانات بالمخابرات والشخصيات العامة، وأن العديد منهن كن يقمن بالترفيه عن الضيوف وشخصيات أخرى عربية كانت تلعب دوراً لصالح المخابرات المصرية..

من هنا لم يستطع حسين أن يتعايش مع مهاترات هذا الوسط ويجاريهم في استهتارهم ومجونهم..

وقرر بعد فترة من المعاناة الانسحاب تاركاً الكثير من النصوص السينمائية والمسرحية والتلفزيونية بين أيدي المخرجين والمنتجين دون مراجعة من قبله بشأنها..

كانت السينما المصرية وكذلك المسلسلات التلفزيونية والمسرح تشخص الواقع المصري بكل عيوبه وتناقضاته بل تعريٌ مصر وتفضحها في أحيان كثيرة..

وكان حسين يكتب بلغة أخرى تختلف عن هذه الكتابات السائدة في عالم السينما والمسرح والتلفاز..

كان يرصد العديد من الحوادث المعتم عليها والرموز المهضومة في تاريخ مصر، إلا أن الكتابة لمجال الفن كانت تتطلب قدراً من السفاهة والبعد عن الواقع وكذلك الاستخفاف بالعقول..

والسينما المصرية في الحقيقة أسهمت بدور كبير في تعرية المرأة المصرية التي تبدو من خلالها كامرأة ساقطة ورخيصة..

وقد أسهمت الرواية المصرية في دعم المجون والتفاهة وتعرية مصر والمصريين، وتجميل صور الراقصات ونساء الليل، وهو ما يبدو من خلال روايات نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس وغيرهم..

وأنتجت السينما المصرية العديد من الأفلام معتمدة على قصص هؤلاء وقد غالت أكثر في تجميل هذه الشخصيات وإضفاء المشروعية على أنشطتها الماجنة..

ومن أشهر الأعمال في هذا المجال ثلاثية نجيب محفوظ: **بين القصرين وقصر الشوق والسكرية** والتي قام بإخراجها مخرج تخصص في إخراج أفلام الراقصات ونساء الليل..

ومن العجيب أن النقاد أطلقوا على هذا المخرج اسم: **مخرج الروائع**..

وإذا كانت حياة الراقصات ونساء الليل تعد روائع في منظور هؤلاء فإن هذا يعطينا دلالة على مدى استهتار الشخصية المصرية بنفسها واستخفافها بوطنها وتاريخها..

والراقصة المصرية كما صورتها السينما أثبتت جدارتها في التهتك والتعري والخلاعة، حتى أنه لا يوجد لها نظير في خلاعتها ومجونها بين نساء العالم، الأمر الذي انعكس على المرأة المصرية، التي تصورها السينما

أيضـاً أنها جـاهزة للرقص فـي أي وقت وأي مكان والإبداع والتـفنن فيـه، وكأنها تؤكد أن نسوة مصر كلهن راقصات ينتظرن الفرصة..

والعديد من الراقصـات صورهن الإعـلام كرموز تركت بصمـة واضحة في تاريخ مـصـر الحـديث، وتم صنع أفـلام تحـمل أسـمـائهن من أشـهرها فيلم: **حكمت فهمي وبمبه كشر وبديعه مصابني**..

وبديعه مصابني مسيحيـة فـرت من موطنها لبنان في العشرينيات من القـرن الماضي، وجـاءت إلى مـصـر لتـعـمل راقصـة، وتصبـح من أشـهـر الراقـصات فـيهـا، وتخـرج من تحت يـديهـا جـيـلاً من الراقـصـات اللاتي أصبحن علامات في هذا الميدان من بعدها..

ومما يلفت الانتباه أن المصـريين جعلوا بديعة مـعلمـاً من مـعـالم مصـر وأطلقـوا اسمـها على الجسـر، أو الكوبري كمـا يسميـه المصريون، المواجه للنادي الليـلي الذي كـانت تملكه، وترقص فيـه على النيل، ليـصبـح اسـمـه (كوبري بديعه) إلا أنـه في عـهد عـبد النـاصـر تم تغـييـر اسـمـه ليـصبح كوبري الجـلاء، لكن اسم بديعـة ظل على ألسنة العوام لفترة طويلة حتى بعد أن تم هدم ملهاها وحلول فندق (الشيراتون) مكانه..

وتعمل السـينمـا المصـرية من باب التـضليل علـى تصـوير الشـخـصـيـة المصـرية بغيـر صـورتهـا، فـتبـرز بطل الفيلم يعـيش فـي قـصـر أو (فيـلا) بسـلم داخلـي، تزدحم بـالأثاث الفــاخــر الأمــر الـذي يتـاقض مع الـواقع ودوره في الـفـيلم، وهو مــا تـعـمل المسلسـلات التـلفـزيونيـة علـى إبرازه أيضاً..

وتعـمل أيضـاً على انتـهـاك الدين والمتـدينين فـهي تتـهكم على رجـال الأزهـر وتتــعــمـد إبـراز أصـحــاب اللحى فـي الخــمــارات وهم سكارى يتهافتون على الراقصات، بينما لا تجـرؤ على إبراز رجل الدين المسيحي في هذه الصورة المتهتكة..

والسينما المصرية وقعت ضحية الروايات المطروحة أمامها تلك الروايات التي ترصد تاريخ مصر وأحوال المصريين من خلال التركيز على الجريمة والجنس والمخدرات والمواخير ونساء الليل..

والحق أن هذه الروايات لم تتجن على مصر والمصريين وإنما رصدت الواقع والشخصية المصرية بدقة شديدة..

إلا أن الروايات التي كتبت في الفترة الناصرية عملت على تزييف الحقائق ومحاولة تشويه الفترة الملكية، والتهكم على الانجليز وتضخيم الدور الوطني للمصريين أثناء فترة الاحتلال الانجليزي..

والفترة الملكية لم تكن بتلك الصورة المظلمة التي حاولت إظهارها مثل هذه الروايات كما أن الدور الوطني لم يكن بذاك الحجم..

وقد حاولت هذه الروايات إبراز المصريين كمهتمين ومتابعين لأحوال مصر وساستها، والراقصات ونساء الليل كوطنيات مناضلات، وهو ما جسدته السينما المصرية في العديد من أفلامها التي أنتجتها في تلك الفترة..

والشعب المصري كما هو حاله على مر التاريخ لا تشغله السياسة وإنما تشغله لقمة العيش والبحث عن القوت، والراقصات ونساء الليل كن يضاجعن الانجليز ويتهافتن على جنيهاتهم..

ونظراً لحالة العداء لإسرائيل التي كانت تسود الفترة الناصرية ركزت السينما في تلك الفترة أيضاً على الشخصية اليهودية متهكمة عليها وساخرة منها..

كذلك كانت الروايات التي كتبت في فترة السادات والتي ركزت على عهد عبد الناصر وعملت على تشويهه، استثمرتها السينما المصرية في

تلك الفترة وأنتجت العديد من الأفلام التي تفضح الفترة الناصرية، وهو ما يكشف لنا مدى تلون الشخصية المصرية مع حكامها..

وعلى الرغم من فشل حسين في تسويق أعماله الفنية إلا أنه كانت أمامه الفرصة سانحة ليصبح نجماً في عالم الفن كما يسمونه، فمن خلال احتكاكه بهذا الوسط، سنحت له العديد من الفرص لتمثيل بعض الأدوار السينمائية، لكنه كان يرفض فقد كان يعتبر هذا النوع من العمل مهدراً للوقت، ومن جهة أخرى هو سوف يذهب بشخصيته ويحوله لإنسان آخر لا يقبله ولا يرضى عنه..

كان حسين وسيماً وجذاباً ومن يراه لأول مرة يظنه من أهل الشام أو تركيا وهو ما دفع بالعديد من المخرجين والمنتجين الذين احتك بهم إلى دعوته للاتجاه للتمثيل بدلاً من التأليف..

وفوق هذه المواهب التي كان يتمتع بها كانت لديه موهبة أخرى وهي الصوت الحسن القوي، الذي يفتح أمامه الأبواب على مصارعها لينتقل من حالة الاستضعاف التي كان يعيشها ليكون من العالين في الأرض..

طرح حسين ذلك كله وألقى برواياته ومسرحياته وسائر ما كتبه في هذا المجال بأدراج مكتبه وعاد إلى الكتابة البحثية وأصدر كتابه الأول: **الحركة الإسلامية في مصر..**

ولاقى هذا الكتاب رواجاً كبيراً لكونه الكتاب الأول الذي صدر في تلك الفترة يرصد تاريخ الحركة وتياراتها وأطرها الفكرية والحوادث والرموز التي ارتبطت بها..

لكن هذا الكتاب لم يرض عناصر الجماعات واعتبرته مكتوباً لصالح جهات معادية وينشر الغسيل الوسخ للإسلاميين..

وفي تلك الفترة التفت حسين إلى التيار الشيعي ذلك التيار الجديد الذي كان قد برز على الساحة المصرية في منتصف الثمانينيات، على الرغم من الحرب الشعواء التي كانت تشن على الشيعة وإيران آنذاك..

واعتكف لدراسة التشيع وقرر في النهاية التحول إلى الشيعة ليحدث تحوله ضجة كبيرة في الساحة الثقافية، خاصة بعد أن أصدر العديد من المؤلفات التي تنتقد الطرح السني السائد، دفعت بالعديد من المثقفين إلى الاتجاه نحو الشيعة ودفعت بالشيعة إلى الالتفاف حوله وجعله أباً روحياً لهم..

ولم يكن حسين يريد لنفسه هذا الدور لتشككه في قدرات من حوله وهي رؤية استخلصها من خلال فهمه للشخصية المصرية وطريقة تناولها للدين وتعاملها معه..

ومن خلال احتكاك حسين بالشيعة وجد أن واقعهم لا يختلف في شيء عن واقع الجماعات، فقد وجد بينهم نزعات تكفيرية وغلو وخلافات وميل للارتباط بالخارج، حيث توجد المؤسسات الدينية الشيعية، وهو ما كان قد وجده في دائرة الجماعات..

ووجد بينهم من اتخذ التشيع وسيلة للنصب والاحتيال على المؤسسات الشيعية في الخارج ودخل عالم الأثرياء بأموال الشيعة تماماً كما وجد مثل هذه النماذج مع الجماعات..

وقد حاول التصدي لبعض هؤلاء ودخل في معارك معهم إلا أن سلبية الشيعة حالت بينه وبين وقفهم، بل إن بعضهم أشاع أن حربه على هؤلاء يعود سببها لرفضهم اقتسام ما يحصلون عليه من أموال معه..

وكان حسين يريد للتشيع في مصر أن يكون تشيعاً مصرياً خالصاً لا صلة له بالخارج خاصة إيران التي تنظر لها الحكومة بعين الشك..

وحدث أن فوجأ جهاز الأمن ببروز الشيعة في مصر رغم الحملات الإعلامية المعادية فتقرر توجيه ضربة لهم..

وخرجت الصحف الحكومية بعنوان رئيس يقول: **القبض على تنظيم شيعي يسعى لقلب نظام الحكم بتمويل إيراني**..

وكان حسين من بين المعتقلين على ذمة هذا التنظيم إلا أنه تم إخلاء سبيله بعد بضعة شهور، بعد حفظ القضية ليقرر بعد فترة من المراجعة خروجه من دائرة الشيعة..

واهتزت الساحة الثقافية لهذا الخبر وهرعت الصحف والقنوات الفضائية نحو حسين الذي أصابته الدهشة لهذا الاهتمام المفاجئ به، إلا أنه سرعان ما انتبه إلى أن ذلك كله ليس سوى محاولة إعلامية لاستثماره في الحرب الدائرة ضد لشيعة..

ولم يقدر لهذه الحملة أن تنجح إذ تصور الجميع أنه سوف يعلن الحرب على الشيعة وينضم إلى خصومهم، لكن جميع تصريحاته حول هذا الأمر كانت تنصب على نقد السنة والشيعة على السواء معلناً: **أن الإسلام فوق السنة والشيعة**..

وكسب حسين بهذا الموقف عداوة الشيعة كما كسب عداوة السنة من قبل فوق عداوة جهاز الأمن والمثقفين الذين لا تعجبهم آرائه ومواقفه..

وأصبح منذ ذلك الحين يعيش في مصر محاصراً ومتهماً:

بالاضطراب تارة..

والعمالة تارة..

والجنون تارة أخرى..

■ ■ ■

7
سعي الكسالى

أدرك حسين أن المصريين يحاكون بعضهم وتحكمهم عاداتهم وتقاليدهم وموروثاتهم..

وهذا ما أدى إلى تلاصقهم حول النيل من قديم وترك بقية مساحة مصر خالية..

وانتشار الرقص والغناء والمخدرات في وسطهم..

والجلوس على المقاهي ليل نهار..

وإضاعة الوقت في الكلام الذي لا طائل منه..

ولو أحس المصري بالعزلة فإنه لا يقدم على ذلك..

وهو يبرر اعوجاجه وسائر أفعاله الغريبة وغير المقبولة دائماً بأن الكل يفعل ذلك..

والكثير من الباعة قد استوطنوا الأرصفة والشوارع وجاء آخرون واستوطنوها إلى جوارهم وبمرور الزمن وتغافل الدولة عنهم تصوروا أن هذا حقهم المكتسب..

ولما كانت عيون المصريين مسلطة دائماً على المهن غير المنتجة التي لا تتطلب مشقة اتجه الكثير من الشباب من حملة المؤهلات وغيرهم

ممن لا يجدون عملاً يناسبهم إلى تقليد أصحاب سيارات النقل والأجرة والعمل في مهنة السياقة..

من هنا انتشرت سيارات الركاب الصغيرة التي تتسع لسبعة أفراد أو سيارات النقل الصغيرة بين هؤلاء الشباب الذين أقبلوا على شرائها بالتقسيط، وهو ما أدى إلى زيادة الاختناق المروري في الشارع المصري المختنق أصلاً بالسيارات..

وفي منطقة باب الحديد أو محطة السكك الحديدية بالقاهرة يوجد مطعم قديم مشهور للكشري، وحدث أن جاء واحد من باب الغيرة والحسد وافتتح مطعماً للكشري أمامه وسماه بنفس الاسم..

وبعد مدة قصيرة اضطر لتحويله إلى مقهى إذ كانت الزبائن تتوافد على المطعم القديم دون أن تعير الجديد التفاتاً..

وكذلك الحال بالنسبة لمطاعم الفول والطعمية التي تحظى بالشهرة فإن العديد من المصريين يسارعون إلى تقليدها..

ومن أجل الشهرة تبنى العديد من أصحاب مطاعم الفول أسماءاً غريبة ومنفرة على رأسها اسم **الجحش** وهو يعد من أشهر محلات الفول بالقاهرة وموقعه بجوار مرقد السيدة زينب، ويأتيه العديد من الشخصيات ليلاً منهم الممثلين والممثلات، والكتاب والصحفيين..

والطريف أنه قد وضع لافتة كبيرة فوق مطعمه مرسوم عليها صورة جحش يرفع ذيله في سرور..

وهناك مطعم آخر للفول كتب صاحبه علية اسم: **العبيط**..

كذلك يعد **البغل** من أشهر مطاعم الفول في مدينة المحلة..

ولا تنحصر مثل هذه الأسماء في محيط الفول وحده بل تجاوزتها إلى محلات الكباب حيث اشتهر في حي مصر القديمة محلاً للكباب يفترش الطريق ليلاً اسم صاحبه **النتن**..

وقد ارتفع سعر الفول والكشري ارتفاعاً كبيراً في عصر الفرعون الثالث الذي ارتفع فيه سعر التراب حسب تعبير المصريين..

وهو ما يعكس حالة الغلاء الفاحش الذي تجاوز كل الحدود وأضاع ما في الجيوب وجعل المصريين ينتظرون الفرج من علام الغيوب..

ومع انتشار مطاعم الفول والكشري انتشرت عربات الكبدة في الطرقات والتي تعتمد على الكبد المجمد المستورد الرخيص الثمن الذي يقدم في السندوتش..

أما الكبد المحلي أوالبلدي كما يطلق عليه فهو غالي الثمن وسعره يفوق سعر اللحم وتنتشر العديد من المطاعم التي تقدمه مع المخ مقلياً بالزيت والدقيق..

والطريف أن هذه المطاعم تتكاثر حول المراقد الشهيرة بالقاهرة وتستغل هذه المراقد في تسويق منتجها..

وهناك مطعم يقع أمام مرقد الشعراني الصوفي في القاهرة كتب لافتة تقول: **كل كبده ومخ ضاني واقرأ الفاتحة للشعراني**..

ومطعم آخر يقع في حي الحسين كتب لافتة تقول: **كل كبده ومخ زين واقرأ الفاتحة للحسين**..

ومطعم آخر بحي بولاق القديم يقع أمام مرقد أحد رموز الصوفية الذي يطلق عليه العامة السلطان أبي العلا كتب لافتة تقول: **كل كبده ومخ باطمئنان واقرأ الفاتحة للسلطان**..

ونتيجة لسوء التغذية والأطعمة الفاسدة التي يجلبها الفراعنة الكبار والصغار من الخارج انتشرت بين المصريين العديد من الأمراض الخطيرة مثل السرطان والفشل الكلوي..

وأزمة المصريين إنما تكمن في حالة البؤس والشقاء التي يعيشونها والتي جعلت منهم خانعين على الدوام من أجل الحفاظ على الفتات الذي يعيشون عليه..

وكانت مشكلة حسين أنه كان يمضي رافعاً رأسه مما كان يعد استفزازاً لرجال الأمن، الذين يعدوا أمثال حسين من الشاذين عن المجتمع الشاردين عن القطيع الذين يجب استئصالهم..

وكان يجب على حسين أن يحنى رأسه مع الجميع حتى يتمكن من العيش وسط المصريين..

وحالة المصريين هذه هي التي دفعت الفراعنة الحاكمين إلى التمادي في إذلالهم وعدم المبالاة بهم..

والشغل الشاغل لهؤلاء الفراعنة على الدوام هو نهب مصر لا تربية المصريين والارتقاء بهم..

ونتيجة لهذه الحالة نشأ المصري فوضوياً بطبعه ينشر فوضاه في كل مكان تطأه قدمه، وهذا يفسر لنا حالة الفوضى التي تسود الشارع المصري والتي تعكس صورة سيئة عن مصر والمصريين..

وهو لازال حتى اليوم يتبول ويتبرز في الطريق العام وقد زادت هذه الظاهرة بعد أن فرضت الحكومة رسوماً لدخول دورات المياه العامة..

وصاحب السيارة لازال يرتكب الكثير من الحماقات بسيارته في الطريق العام..

ولازال المصريون يلقون بالقاذورات من نوافذ مساكنهم في الطريق..

ولازال الفلاحون يغسلون ملابسهم وأدوات منازلهم في النيل ويتبرزون ويلقون بحيواناتهم النافقة في مياهه..

ولا تزال المصانع تلقي بنفاياتها فيه..

هذا في الوقت الذي يتغنون به ليل نهار وكأنه لا يوجد نهر مثله أو أفضل منه في بلدان العالم الأخرى..

والمكان الوحيد الذي ينضبط فيه المصري هو(مترو) الأنفاق..

ويعود ذلك إلى وجود الرقابة المشددة والغرامات الكبيرة للمخالفين مما يؤكد صحة المثل الذي يقول: **شعب يخاف ولا يختشيش**..

ويؤكد أيضاً أن المصري لا يستقيم إلا بضغط الحاكم وتخويفه وأنه لا ينتج إلا بهذه الطريقة..

ومحمد علي الذي حكم مصر من قبل الأتراك أقام مشاريعه الضخمة ونجع في بناء مصر الحديثة بهذه الطريقة، وحفيده الخديوي إسماعيل حفر قناة السويس بنفس الطريقة أيضاً..

من هنا أصبحت آراء حسين النقدية لمصر والمصريين تمثل استفزازاً كبيراً لمعارفه وأصدقائه من المثقفين وغيرهم..

وهو ما لفت نظر حسين إلى نقطة سلبية في الشخصية المصرية وهي رفضها للنقد وكراهيتها الشديدة له..

بل إن عشقهم الأعمى لمصر قد دفع بهم إلى الطعن في حسين ومحاولة تشويهه باتهامه بالعمالة والحقد على مصر والمصريين..

■ ■ ■

8
جوع وحرمان

تبين لحسين أن الجوع سنّة تاريخية ثابتة في الواقع المصري على الرغم من توافر الإمكانيات والثروات الهائلة، من ذهب ونفط وغاز وبحار وأنهار وأراض وآثار وقناة السويس والكثير من المعادن الأخرى..

وتبين له أيضاً أن هذه الحالة تعود في المقام الأول إلى طبيعة المصريين العاكفين من حول النيل العاشقين للفلاحة، وهو ما فتح الباب على مصارعه لنهب ثرواتها من قبل الأجانب والمستعمرين والفراعنة الحاكمين..

وهؤلاء الفراعنة والأجانب من فرس وروم وعرب وكرد وترك وفرنسيين وألبان وإنجليز وغيرهم لم يكونوا لينجحوا في تنفيذ أغراضهم لولا سلبية المصريين وتكاسلهم..

وقد كشف المتنبي هذه الصورة في القرن الرابع الهجري بقوله:

نامت نواطير مصر عن ثعالبها..

والنواطير الذين ذكرهم المتنبي هم الحراس المتغافلين عن الثعالب الناهبين لخيرات مصر، وهي الصورة الدائمة لحال مصر المنهوبة عبر التاريخ من حكامها ومستعمريها..

وهي الصورة البارزة في مصر اليوم التي تنهب فيها ثرواتها على الملأ دون حسيب أو رقيب..

وقد أصيب المصري باليأس والإحباط وهو يرى ثروات وطنه تلقى ذات اليمين وذات اليسار دون أن ينال منها شيئاً، مما أدى به في النهاية إلى فقد انتماءه لهذا الوطن، وأصبح لا يحرك ساكناً أمام ما يجري في وطنه، وكل ما يحلم به هو أن يلقي له ببعض الفتات مما تنهبه الثعالب..

إلا أن ما لم يجد له حسين تفسيراً هو موت الآلاف من هذا الشعب في العصور السابقة، بداية من عصر الفراعنة ونهاية بالعصور الإسلامية جوار النيل الذي كان يجف ماؤه في فترات كثيرة، فيختفي الغذاء من بين أيدي الناس وتحدث المجاعة التي يهلك فيها آلاف الناس، الذين قبلوا أن يكونوا عبيداً لفراعين رفضوا حتى أن يجودوا عليهم بكسرة من الخبز..

كان حسين يقص على مستمعيه أخبار هذه المجاعات كما رصدتها كتب التاريخ، وكيف أن الناس اضطرت إلى أكل الحمير والكلاب والقطط والجيف والموتى، ثم استداروا على بعضهم فأكلوا الضعفاء، وحتى الأطفال لم يرحموهم، وكثيراً ما كانت تضطر العائلة إلى ذبح ولدها أو ضيفها وتقوم بشيه وأكله..؟

وكثرت أحكام الإعدام بالشتق التي كان يصدرها الحكام آنذاك على من يضبط بارتكاب مثل هذه الجرائم البشعة، إلا أن الغريب في الأمر هو أن المصريين كانوا ينتظرون شنق هؤلاء ويسرقون جثثهم ليأكلوها..

لم يكن أحد من السامعين يصدق أن مصر كانت تجري فيها مثل هذه الحوادث البشعة، التي تدل على مدى قلة حيلة هذا الشعب وكسله في طلب الرزق، وانتظاره الموت جوعاً دون أن يحرك ساكناً، فكان حسين يحيلهم إلى المصادر التاريخية التي رصدت هذه الحوادث..

وما يؤكد ذلك أن الشعب المصري لا زال حتى اليوم لا يشغل سوى ٨٪ على الأكثرمن مساحة مصر الكلية، وقد التصق ببعضه في ظل هذه المساحة الصغيرة بجوار النيل بدافع الاطمئنان النفسي..

وما كل ذلك إلا لضعفه وعجزه عن انتزاع حقوقه من الفراعين، بل عجزه عن استثمار ثروات وطنه التي يقال عنها من باب التهكم والسخرية أنها لا تنفذ، وهو ما أدى إلى القول عن مصر أنه! **من أغنى دول العالم، لكونها تنهب على مر التاريخ من الفراعنة وشعوب الأرض ولا تزال تعطي..**

و مثل هذه الحالة هي التي أدت إلى اهتزاز إيمان المصريين بمسألة الرزق وتعلقهم بالعمل عند الحاكم ضماناً لهذا الرزق، وهو ما يترجمه المثل الشعبي الذي يقول: **إن فاتك الميري اتمرمغ في ترابه**، والميري كلمة مشتقة من الإمارة وهو كناية عن الحكومة..

والتمرمغ في التراب تفعله الحمير والحيوانات لتنظيف جسدها، ويقصد به هنا التعلق بأي عمل حكومي ولو كان بسيطاً، فتراب الحكومة خير من ذهب العمل الحر الغير مضمون في نظر المصريين..

وهى الفكرة التي التفت إليها عبد الناصر ففتح باب العمل عند الدولة على مصراعيه، ليندفع المصريون بقوة نحو الوظيفة الميري، أو الرزق المضمون كل شهر سواء عملوا أو لم يعملوا..

وأدى إلى عشوائية التعيينات التي كانت تقوم بها الحكومة بسبب كثرة المتقدمين للعمل في الفترة الناصرية والتزام وزارة القوى العاملة بتعيينهم على الرغم من عدم وجود وظائف تناسبهم..

وهكذا ازدحمت المصالح الحكومية بالموظفين والموظفات الذين لا يفعلون شيئاً سوى التحدث مع زملائهم، أو قراءة الصحف أو تجهيز طعام الغذاء وحاجات الأولاد بالنسبة للموظفات الأمهات..

وأصبح هؤلاء عبئاً على الدولة وضحايا فيما بعد حين اضطر السادات الذي اتجه نحو التحرر من قيود الاشتراكية الناصرية إلى بيع مؤسسات الدولة للقطاع الخاص..

وهو ما دفع بالكثير من حملة المؤهلات العليا وحتى حملة (الدكتوراه) إلى امتهان العديد من الحرف والتخلص من مؤهلاتهم التي لم تعد تغني ولا تسمن من جوع..

ولم ينجح التعليم المجاني الذي عممه عبد الناصر في بناء العقول وإنما نجح في محو أمية البعض الكتابية، فمن ثم كانت الجامعات تخرج حملة أوراق تستخدم كمسوغ للتعيين في وظيفة ليس إلا، وهو ما دفع بالمصريين إلى التهكم على هذه الحالة بقولهم: **بلد شهادات**..

ولم ينجح أيضاً في تهذيب أخلاق المصريين ولا في إزالة الأمية الكتابية من بينهم فلا تزال نسبة الأمية بارزة بينهم حتى اليوم..

وفي ظل انهيار وفساد منظومة التعليم اتجه العديد من الصحفيين والموظفين إلى استغلال هذا الوضع في الحصول على رسالة (الدكتوراه) بطرق ملتوية ليستغلوها في تحسين مركزهم الوظيفي..

وبرز الخلل بقوة في ميدان الثقافة والإعلام حيث تم التركيز على الرواة والقصاصين وإهمال المفكرين والمبدعين، كما هو حال السينما التي تركز على الحب والغرام والجنس، مما أصاب أصحاب العقول بالإحباط والأمراض النفسية..

وليس هذا إلا نتاجاً للشخصية المصرية التي تميل للهوى والشهوات وتنبذ من يحاول الخروج بها من هذه الدائرة..

ومن الموروثات التي تسببت في توطين السلبية والانهزامية واللامبالاة بين المصريين، تلك المفاهيم الثلاث التي تحولت إلى عقائد عندهم وهي: **معلهش، أنا مالي، إشمعنى**..

وكلمة (معلهش) مشتقة من جملة ما عليه شيء وهى تستخدم بعشوائية من قبل المصريين لحسم المنازعات وفض المعارك وتطييب الخواطر ولو كان على حساب المجني عليه..

أما (أنا مالي) فتعني تبرير السلبية من كل ما يجري ويدور حولهم وكأنها أمور لا تعنيهم..

وإشمعنى كلمة مشتقة من إيش معنى أو لماذا وتستخدم للدلالة على عدم القناعة والحسد للغير وتستخدمها الزوجة دائماً لتحريض زوجها على زيادة الإنفاق..

وهناك العديد من الأمثال المتداولة من قديم والتي تبرر حالة الانهزام والسلبية تجاه تحصيل الرزق والارتقاء المعيشي منها:

أقل عيشه أحسن من الموت..

ابن النعيم للنعيم وابن الشقاء للشقاء..

الفقر حشمه والعز بهدله..

مخدة العز شوك ومخدة الفقر ريش نعام..

والبهدلة يقصد بها الامتهان وكأنهم بهذا المثل يبرر التمسك بالفقر والنفور من الغنى والسعة في الرزق..

وكأن هذه الأمثلة تؤكد أن الفقر كرامة والغنى امتهان..

والعز يقصد به الغنى والترف فهى تربط العز بالمال لا بالكرامة..

واليوم يكفي لأي مشاهد أن يتعرف على حال المصريين وما يعيشونه من جوع وحرمان حين يرصد طوابير الخبز (الردئ) أمام المخابز..

وتجمعاتهم حول عربات الفول بالطرقات..

وكثرة المتقدمين لبيع أعضائهم للمستشفيات والمحتاجين..

وشيوع بيع الأعراض وانتعاش بيوت الدعارة..

وانتشار المتسولين بشتى أنواعهم وأشكالهم في الطرقات..

وعلى الرغم من ذلك كله لازال المصري يردد : **عمار يا مصر..**

■■■

9
جرائم المفلسين

استوقفت حسين نسبة الجريمة المتزايدة في مصر وغرابتها وبشاعتها أيضاً..

وما لفت انتباهه هو تناقض هذه الجريمة مع طبيعة الشخصية المصرية التي تبدو لينة مسالمة في الظاهر..

والحق أن مسألة اللين والمسالمة إنما هي صورة من صور الاستسلام للواقع والخوف من بطش الحاكم..

أما الجريمة فهي ترجع إلى تنافر المصريين وعدم ائتلافهم بسبب أصولهم المختلفة والمتعددة التي أشرنا إليها..

وتنافر المصريين امتزج مع قلة حيلتهم التي دفعت بهم للحقد على الأغنياء بالإضافة إلى ضيق أفقهم الذي أوجد فيهم القابلية السريعة للغضب والعدوان على الآخر..

والآخر هنا هو الجار أو القريب أو الصديق أو الزوجة أو غيرهم ممن يتصور قدرتهم على النيل منهم، أما الحاكم أو صاحب النفوذ الذي يتوقع منه الأذى فلا يفكرون في العدوان عليه بل يجبنون أمامه..

ومن كثرة الجرائم في مصر وغرابتها تنافست الصحف ووسائل الإعلام على تغطيتها والتسابق بنشرها على الملأ، رغم كونها تعكس

صورة سيئة عن المجتمع المصري حتى أن هناك صحف تخصصت في رصد الجريمة فقط..

وقد رصدت السينما أيضاً هذه الجريمة بصورة فاضحة في العديد من الأفلام التي تصور لنا ذكاء المصريين ودهائهم في الإجرام، وبشاعة الجرائم التي يرتكبونها والتي تكشف لنا مدى عمق التنافر وعدم التآلف بين المصريين..

ولو كانوا قد استغلوا هذا الذكاء والدهاء في الخير لكان لمصر شأن آخر ولما وجد الفراعنة الطغاة لهم مكاناً فيها..

وتؤكد السينما استعداد المصري الدائم للعدوان على الآخر بامتلاكه السلاح الذي سرعان ما يشهره على الفور أمام خصمه ويقتله ببساطة..

وتصوره دائماً كمدمن للخمور والمخدرات..

والغريب أن السينما المصرية تركز على الخمور والخمارات وتصور بطل الفيلم كلما واجهته مشكلة لجأ إلى الخمارة، كي يحتسي من خمرها وينسى همومه ومشاكله، في حين أن المخدرات هي الأكثر انتشاراً بين المصريين من الخمور..

وانتشار المخدرات على حساب الخمور بين المصريين يعود إلى اعتقادهم بحرمة الخمر وشكهم في حرمة المخدرات..

ومن أشهر الجرائم الغريبة التي رصدتها السينما جريمة اختطاف النساء وذبحهن وسرقة حليهن، من قبل عصابة إجرامية كانت تقودها امرأة تدعى **ريا**، وشقيقة لها تدعى **سكينة** في مدينة الإسكندرية، وتم القبض عليهم وأعدموا عام ١٩٢١م..

وكانت تلك العصابة تتخلص من جثث الضحايا عن طريق تقطيعها ودفنها في أرضية البيت الذي يقيمون فيه..

وعلى الرغم من كثرة حوادث اختفاء النساء وتحذيرات رجال الأمن في تلك الفترة، أصرت المرأة على الخروج والتسكع في الطرقات وهي بكامل زينتها لتسقط في حبائل هذه العصابة..

والسؤال هنا كيف لامرأة أن ترتكب مثل هذه الجرائم البشعة..؟

وكيف أطاعها أفراد عصابتها إلى هذا الحد..؟

وكيف كانوا يعيشون فوق جثث ضحاياهم..؟

وما هو الدافع لمثل تلك الجرائم..؟

هل هو الجوع والحرمان أم قلة الحيلة أم الحقد على الأغنياء..؟

والإجابة على هذه التساؤلات تعكس لنا صورة سلبية عن الشخصية المصرية..

وبدلا من التعتيم على هذه الجريمة النكراء التي تعري مصر والمصريين التقطتها السينما، وتم تحويلها مؤخراً إلى مسرحية فكاهية يسخر فيها المصريون من أنفسهم ثم إلى مسلسل تلفزيوني..

ومن الطريف أن أهل الإسكندرية تعلموا الكثير من صور النصب والاحتيال وفنون الإجرام من الطليان الذين وفدوا عليها واستوطنوها..

وكلمة (**أونطه**) الدارجة في اللهجة المصرية التي تطلق على صور النصب والخداع هي كلمة إيطالية ورثها المصريون منهم..

وهناك جريمة أخرى وقعت بالقاهرة حين اكتشف أحد عمال النظافة قطعة من جسم رجل في صندوق القمامة، ثم اكتشف زميل له قطعة أخرى في صندوق آخر، وبالتحري عن الأمر من قبل الشرطة تم اكتشاف قطع جديدة في صناديق أخرى..

وكشفت التحريات فيما بعد عن هوية الرجل وتبين أن زوجته هي التي قتلته ومزقت جثته ووزعتها على صناديق القمامة..

وقامت امرأة أخرى باختطاف طفلة جارتها وقتلها من أجل سرقة قرطها الذهبي الذي تبين أنه لا يساوي أكثر من ثلاثين جنيها..

وتخلصت زوجة من ولدها وزوجها من أجل عشيقها..

والأدهى والأمر أن هناك نساء احترفن السرقة والنشل يذهبن إلى الحج والعمرة لسرقة الحجاج والزائرين هناك..

وفي فترة السبعينيات كان يتم ضبط العديد من بيوت الدعارة التي نشطت مع فترة الانفتاح، وتوافد بدو الخليج على مصر، وكان يضبط ضمن هذه البيوت العديد من الممثلات والراقصات..

وقد كشفت الحملات على هذه البيوت عن مجموعة من تلميذات المدارس تم ضبطهن مع بعض الوافدين من الخليج، ولما أجرى الكشف الطبي عليهن تبين أنهن عذراوات وأنهن كن يستعملن من الخلف..

ومما يذكر هنا أن شرطة الآداب لا تنشط إلا شتاءاً بينما يهبط نشاطها صيفاً وذلك حتى لا تؤثر على حركة السياحة..

وجرائم الرجال لا تقل بشاعة عن جرائم النساء بل تزيد عليها، وهي تتنوع ما بين القتل والسرقة والاغتصاب والنصب والاحتيال، والاتجار في المخدرات بالإضافة إلى اختطاف النساء المتزينات بالحلي وسلب حليهن وقتل بعضهن..

ومن أخطر الجرائم المنتشرة في مصر من قديم جريمة الثأر..

ويوماً كان حسين يتجول في سوق الإمام الشافعي الذي ينصب يوم الجمعة من كل أسبوع لبيع الأشياء القديمة، وبينما هو واقف أمام محل للعصير يحتسي كوباً من عصير القصب، إذ لاحظ شاباً يحمل مسدساً ويتجه نحو أحد الباعة الجالسين في السوق، ثم يطلق عليه النار فيرديه قتيلاً أمام المارة الذين أصيبوا بالفزع وفروا من المكان..

وفي صباح اليوم التالي خرجت الصحف بأخبار هذه الجريمة ناشرة صورة القاتل وبجوارها صورة أمه..

أما سبب الجريمة فكان الثأر من هذا البائع لقتله والد الشاب منذ خمسة عشرعاماً كان وقتها القاتل مسجوناً والشاب طفلاً صغيراً..

لم تشفع السنين التي قضاها القاتل في السجن عند أهل القتيل، ولم ترض زوجته التي أخذت تعد ولدها للثأر من قاتل أبيه منذ نعومة أظافره، حتى إذا ما خرج القاتل من السجن وتم تحديد مكانه أرسلته لقتله، ليدخل السجن وتشفي غليلها ويستريح القتيل في تربته حسبما تعتقد..

وحدث عندما كان حسين في الكويت أن وجدت جثة قتيل من المصريين العاملين هناك..

وكشفت التحريات فيما بعد أن قتله كان بسبب الثأر وأن قتلته جاؤوا إليه خصيصاً عن طريق التسلل من العراق ونفذوا جريمتهم وعادوا من حيث أتوا..

وقتل الأنثى الضعيفة بسبب الشرف تعد من الظواهر السائدة في المجتمع المصري خاصة في صعيد مصر وهو ما يشير إلى انهزامية الشخصية المصرية وضعفها..

وقد انتشرت مؤخراً ظاهرة سرقة أعضاء المرضى في المستشفيات الحكومية وغيرها وبيعها للمحتاجين..

والجريمة في مصر طالت الأماكن المقدسة مثل المساجد والكنائس والأضرحة، التي انتشرت فيها وحولها شتى صور السرقة النصب والاحتيال، وحتى الزنا بواسطة الدجالين والمشعوذين وسدنة هذه الأضرحة وغيرهم..

ويمكن لمطالع الصحف المصرية أن يرى المزيد والغريب حتى وصل الأمر إلى قتل الآباء والأمهات من قبل الأبناء..

وقد رصد لنا تاريخ الجبرتي العديد من صور الجريمة في عصره، وهو القرن السابع والثامن عشر الميلادي الذي انتشر فيه اللصوص والعصابات والفلاتية حسب تعبيره، ورصد أيضاً جرائم العربان الذين كانوا يسطون على القرى، ويمارسون القتل والسلب والنهب ويشردون الأهالي، بالإضافة إلى جرائم الجند من الترك والمماليك، الذين كانوا يغتصبون النساء ويهاجمون الأسواق ويقتلون الآمنين، ويجاهرون بالمعاصي في الميادين والطرقات، وحتى في المساجد وفي شهر رمضان..

والمضحك أن أهل الإجرام يتباهون من قديم بدخولهم السجن ويرفعون شعاراً يقول: **السجن للجدعان**..

وتعد جرائم المسئولين أوأصحاب النفوذ من الجرائم السائدة طوال تاريخ مصر القديم والحديث وهي جرائم تمضي بالطبع بلا عقاب..

وكم قتل الأيوبيون والمماليك والترك من المصريين وكم نهبوا من ثروات..؟

وكم قتل الانجليز والملكيين ونهبوا..؟

وكم قتل الضباط وكم سرقوا..؟

وقد ازدادت جرائم المسئولين مع وصول السادات إلى الحكم وتفاقمت أكثر في العصر الحالي..

وجرائم الفرعون المخلوع وأسرته تضعه في مصاف مجرمي الحرب وهي لم تكشف وتفتح ملفاتها حتى الآن..

ومثل هذا الحال هو الذي دفع بالمصريين من قديم إلى رفع شعار في وجه الحكام يقول: **حاميها حراميها**..

والجريمة في مصر شملت أيضاً قطاع المتدينين أو المتسترين بالدين وهو ما أنتج العديد من الأمثال للتحذير من هؤلاء منها :

اللي فينا فينا ولو حجينا وصلينا..

ضلالي وعامل إمام والله حرام..

يصلي الفرض وينقب الأرض..

والسؤال الذي كان يطرحه حسين دائماً هو: كيف لشعب يدعي أنه صاحب حضارة السبعة آلاف عام ويتمسح بالفراعنة يرتكب مثل هذه الجرائم..؟

وفوق هذا يتباهى بتميزه على الآخرين بينما هو في الحقيقة شعب محبط حصر نفسه في مساحة صغيرة حول النيل وترك مساحات شاسعة تكفي لإطعامه وتأمين حياته ومستقبله..

وهو عاجز عن حل أزمة المواصلات التي تخنقه منذ عقود طويلة وعاجز أيضاً عن تنظيف شوارعه مما أدى إلى الاستعانة بشركات أجنبية من أجل تنظيفها..

■■■

10
التاريخ الواقف

كان حسين كثير التجول بالمقابر القديمة مثل مقابر المماليك والعائلة المالكة ومقابر الباشوات التي كانت تمثل عنده نوع من العبرة والتشفي من هؤلاء الذين حكموا مصر ونهبوها..

و هذه المقابر تقع خارج القاهرة القديمة التي كانت صغيرة المساحة ولا تحوي سوى مقابر الفاطميين التي كانت تقع بجوار مرقد رأس الحسين، ولا وجود لها اليوم بعد أن قام أحد أمراء المماليك بهدمها وألقى رفاتهم بجانب سور القاهرة، وعرض أرضها للبيع وأصبحت من ذلك الحين سوقاً من أشهر أسواق القاهرة وهو السوق المسمى بخان الخليلي..

ولم يجد المصريون مكاناً لدفن موتاهم أفضل من مراقد أبناء أهل البيت التي تقع خارج القاهرة القديمة..

وحاز مرقد السيدة نفيسة على إجماع المصريون بجميع طبقاتهم فتجمعت من حوله مدافن كبراء مصر ومستضعفيها..

وبجانب مرقد السيدة نفيسة وقف حسين يتأمل الصبية وهم يلعبون الكرة في مقبرة الأشرف شعبان أحد سلاطين المماليك بعد أن تهدمت، ولم يبق منها سوى قبتها، كذلك مقبرة شجرة الدر زوجة آخر ملوك بني

أيوب التي ماتت مقتولة، وأول امرأة حكمت مصر في العصر الإسلامي الواقعة إلى جوارها، وقد تهدمت أيضاً دون قبتها..

وخلف مرقد السيدة نفيسة تقع مقبرة الخلفاء من بني العباس التي تضم رفاتهم تحت قبة صغيرة لا توازي مساحتها نصف مساحة مقبرة شجرة الدر أو الأشرف شعبان..

وكان المماليك قد استقدموا من بقي من سلالة العباسيين إلى مصر بعد سقوط بغداد على يد التتار، ونصبوهم خلفاء دون سلطة لحاجتهم للغطاء الشرع، ثم قتلوا العديد منهم ممن أحسوا بالخطرمن جهتهم..

ومثل هذه القبور كانت تعد في نظر حسين وسيلة للتأمل في تاريخ مصر وتطرح أمامه السؤال التالي: كيف يمجد مثل هؤلاء الحكام الطغاة وتصنع لهم مثل هذه القبور العظيمة التي تكلفت أموالاً طائلة..؟

أليس كان من الأولى أن تنفق مثل هذه الأموال على الأحياء الذين يتضورون من الجوع..؟

ووصل حسين إلى نتيجة مفادها أن حكام مصر على الدوام لابد وأن يكونوا فراعنة لكونهم كانوا يحكمون عبيداً، فمن ثم هم يسيرون على سنة الفراعنة القدامى الذين أنفقوا الأموال الطائلة، وأهلكوا الآلاف من العبيد من أجل بناء هذه الأهرامات الضخمة ليدفن فيها فرداً واحداً هو خوفو أو خفرع أو منقرع..

والأمر الملفت أنه نشأت بجوار مراقد أبناء أهل البيت العديد من الأحياء الشعبية الفقيرة التي لاذت بها من أجل البركة والحماية..

فنشأ حيي سمى بحي السيدة نفيسة..

وحيي باسم السيدة زينب..

وحيي باسم الحسين..

وحيي باسم السيدة عائشة المنسوبة لجعفر الصادق التي يقع مرقدها بجوار القلعة..

ولما ضاق الحال بالمصريين أكثر هجموا على المقابر فسكنوها وتزاحموا عليها حتى أنه لم يعد هناك موضع قدم فيها..

ونظراً لكون هذه المقابر بعيدة عن عيون الحكومة فقد كثرت فيها الموبقات فأصبحت مركزاً لتعاطي المخدرات، ومأوى للصوص والمجرمين، والبعض منها خصص لممارسة الدعارة، وذلك عدا المقابر الخاصة برموز الصوفية، والتي جعلها أتباع الطرق الصوفية مركزاً لإحياء المناسبات واستقبال الوافدين..

وحالة السكنى في المقابر إنما تكشف لنا مدى قلة حيلة المصريين وضيق الأفق الذي يدفع بهم للتلاصق مع الآخرين وعدم البعد عنهم..

ومقابر الكبراء من البشوات وغيرهم ليست كمقابر عامة الشعب فهي تحوي حديقة جميلة ومزينة بأجمل زينة، ومكتوب على شواهدها بماء الذهب هذا بالإضافة إلى غرفها الفاخرة..

وأثناء جولات حسين بين المقابر والأحياء المحيطة بالمراقد الشهيرة كان يرى نماذج من المصريين المهمشين، ونماذج أخرى من أصحاب الأشكال الغريبة والمخيفة الذين ولد بعضهم بتشوهات خلقية، أو حدث له حادث أدى إلى تشوهه وهؤلاء كانوا مستترين داخل هذه الأحياء ولا يخرجون منها..

وكان هناك واحد من المهرجين في أوائل القرن الماضي يضحك الناس يسمى السيد قشطه، ولم يكن له شبيه في ضخامة جسمه ورأسه التي كانت تشبه رأس الجاموس..

وحين تم استقدام فرس النهر من إفريقيا إلى مصر لأول مرة احتاروا في تسميته فأطلق عليه البعض اسم سيد قشطه، نظراً للتشابه الكبير بين هذا الحيوان والمهرج المعروف، ومنذ ذلك الحين والمصريون يطلقون على هذا الحيوان اسم سيد قشطه..

وكانت لحسين أيضاً العديد من الجولات بين دور السينما الشعبية أو سينما الدرجة الثانية، وقد رصد في داخلها العديد من الظواهر الغريبة بالإضافة إلى صور الفسق والمجون..

وجد من اتخذ من هذه الدور مكاناً رخيصاً لممارسة فريضة النوم التي حرم منها بسبب فقدانه المأوى الآمن..

ومن اتخذها مكاناً آمناً لتعاطي المخدرات والالتقاء بالعاهرات..

ومن اتخذ دورات مياهها وسيلة لتفريغ الكبت الجنسي بواسطة كتابة العبارات الماجنة على جدرانها ورسم ذكور الرجال وفروج النساء..

كذلك اعتبرت هذه الدور من الأماكن الآمنة لكثير من الشباب الراغب في ممارسة العادة السرية، والبعض منها أصبح مركزاً لتجمع الشواذ..

وما كان يدفع بحسين للتجول في شوارع القاهرة القديمة التي لا تزال تحتفظ بطابعها منذ قرون طويلة، هو شعوره بالحنين نحو الماضي، فقد كان يعتقد أنه لو وجد في زمن من الأزمان السابقة لكان حاله أفضل بكثير من حاله في الحاضر..

ولم يكن تجوال حسين في هذه الشوارع سهلاً ميسوراً فقد كانت تتبعه صوراً عديدة من الأذى الذي كان يلحق به، من السكان والمارة والباعة الذين تزدحم بهم الأرصفة والطرقات ويتعدى بعضهم على

بعض، مما كان يؤدي إلى نشوء المعارك التي غالباً ما يسقط فيها ضحايا..

ولا ينس حسين يوم أن كان ماراً بجوار قصر عابدين الشهير مقر الحكم الملكي سابقاً بوسط القاهرة أيام السادات الذي كان يقوم بزيارة لهذا القصر ورجال الأمن منتشرون في الطرقات..

وفجأة مر واحد من الجزارين يجر عجلاً فأفلت منه العجل واندفع نحو موكب السادات الذي كان خارجاً من القصر، فما كان من رجال الأمن إلا أن اندفعوا نحو العجل وأوسعوه ضرباً وركلاً بالأقدام في الوقت الذي فر فيه صاحبه من المكان..

ومن الظواهر التي لفتت انتباه حسين في الشارع المصري مؤخراً تزايد سكان الأرصفة من الرجال والنساء..

وتزايد نسبة المجانين والذين يحدثون أنفسهم في الطرقات ويتحرشون بالمارة ويسبونهم..

واكتشف حسين أن عدداً من هؤلاء المجانين كانوا من المثقفين أصحاب العقول، البعض منهم فقد عقله بسبب تأمله في أحوال مصر ويأسه من إصلاح أحوالها، والبعض الآخر فقده على يد رجال الأمن في المعتقلات، بالإضافة إلى من فقده بسبب الأوضاع المعيشية الصعبة أو على يد زوجته..

ومن أشهر مجانين الشارع المصري ذلك المجنون الذي كان يلقب بعدو الولايات المتحدة، ويمضي في الطرقات وهو يطوق جسده بالأعلام الأمريكية الصغيرة التي حاكها ببعضها، ملقياً جزء منها على الأرض يجره من وراءه في الطريق، وكثيراً ما كان يتسبب في تعطل المرور

بالوقـوف في وسط الطريق العـام وهـو يسب أمـريكا ويضـرب بقـدمـه الأعلام المتدلية منه على الأرض..

كان حسين عندما يرى هذا المجنون أو هذا الضحية يتذكر مجنون الستينيات صاحب اللحية الطويلة، الذي يبدو وكأنه من الإخوان المسلمين والأولاد يزفونه في الطريق وهم يهتفون وراءه بقولهم: **روسيا روسيا**..

وهو بمجرد سماعه هذه الكلمة يثور ثورة عارمة ويقوم بمطاردة الأولاد ومحاولة ضربهم بعصاته التي يحملها في يده، وعندما يعجز عن اللحاق بهم والنيل منهم كان يصوب عصاته نحوهم ويطلقها عليهم كما تطلق الحراب..

ويتذكر أيضاً شخصية أخرى من هؤلاء المجانين أشتهر بالطواف بين المقاهي وهو يرتدي زياً عسكرياً يشبه زي (روميل) القائد الألماني أثناء الحرب العالمية الثانية، وبالإضافة إلى هذا الزي كان يعلق على صدره العديد من النياشين بعضها مقلدة والبعض منها أصلية، من تلك النياشين التي وجدت في قصور الباشوات والكبراء السابقين وفقدت قيمتها..

ومجنون آخر كان يخرج من بيته كل صباح وهو يرتدي بزة محشوة جيوبها بالأوراق ويظل يطوف الشوارع ليستقر بعد ذلك في حديقة الأزبكية بوسط القاهرة ويجلس متأملاً الناس من حوله، ثم يخرج قلماً وورقة من جيبه يكتب فيها بسرعة يتوقف بعدها فجأة معتصراً الورقة في غيظ ويضعها بعد ذلك في جيبه..

ومثل هذه الأنماط من المجانين إنما يعكس حالات اجتماعية خاصة بالمظالم والانتهاكات التي تسود المجتمع المصري من قديم..

إلا أن حسين كان يرى نوعاً آخر من الجنون ساد مصر على يد الفرعون المخلوع وهو جنون جعل كل شباب مصر يضيقون بها ويحلمون بالفرار منها نحو الخارج، دون أن يفكر أحد منهم بالفرار نحو الداخل الخالي الذي يبحث عمن يعمره..

وهو ما دفع الكثير من الشباب إلى الزواج من السائحات الأجنبيات العجائز الذين يفدون على مصر، وذلك من أجل الهجرة معهن والخلاص من البؤس والشقاء الذي يعيشونه..

وما دفع بآلاف الشباب للسفر إلى إسرائيل والزواج بالإسرائيليات..

وما يدفع بهم أيضاً نحو المخدرات..

وهذه الظواهر أرجعها حسين إلى الطبيعة المصرية ذات النفس القصير الذي يدفع بها إلى الفرار من مواجهة الواقع المرير إلى ما هو أمر..

وتنقل حسين أيضاً بين العديد من الأحياء الشعبية في القاهرة والمحافظات وقد أتاحت له فرصة الحرية وعدم التقيد بوظيفة، أوحتى الارتباط بأسرة القيام بذلك، وربما مثل هذه الفرصة لم تسنح لغيره من المثقفين المربوطين بساقية العيش ليل نهار، والذين تعبت عقولهم وتبددت أفكارهم واستسلموا لواقعهم..

كان حسين يتعمد التنقل بواسطة القطارات الشعبية التي يتزاحم حولها المصريون لرخص أجرتها، بالقياس إلى المواصلات الأخرى المرتفعة الثمن، وهي تعد من أسوأ القطارات في العالم، والفاخرة منها لا توازي القطارات العادية في البلاد الأخرى..

والقطارات الشعبية في مصر لا تصلح سوى لنقل البهائم حيث تجد عرباتها بلا مياه ولا إضاءة، وتفوح منها رائحة البول والقاذورات، ويتجول فيها المحصل حاملاً كشافاً ليضئ له الطريق، ويمكنه من

مراقبة الفارين والمختبئين توفيراً لأجرة السفر، هذا بالإضافة إلى نوافذها المحطمة ومقاعدها الخشبية أو(البلاستيكية) السيئة وأرضيتها التي تغطيها القمامة ومخلفات الركاب..

وفوق هذا تراها مكتظة بالركاب الواقفين أكثر من الجالسين، وترى الباعة يتجولون فيها حاملين سلعهم، من ماء ومشروبات وشاي وحلوى وملابس ودخان وخلافه، يشاركهم الشحاذين من الرجال والنساء والأطفال حتى يبدو القطار كسوق متحرك..

وقد رأى حسين من خلال هذه القطارات مختلف شرائح الواقع المصري مجسمة أمامه..

ورأى من خلال هذه التنقلات والاحتكاكات ما لم يره على صفحات الكتب، بل وجد الإجابة على العديد من التساؤلات التي كانت تشغله ولا يجد لها جواباً، من خلال قراءاته حول تاريخ مصروشخصيتها وتركيبة واقعها وصفات شعبها..

ولفتت انتباهه إلى أمية المصريين وعدم الوعي بتاريخهم وتركيبة مجتمعهم وهذه الأمية لم تكن تنحصر فقط في محيط العامة بل طالت العديد من المثقفين أيضاً..

كان حسين يطرح العديد من الحقائق والحوادث التاريخية في حواراته مع الآخرين الذين كانوا يستهجنونها وينكرونها دون علم ليس لشيء سوى أنهم لم يسمعوا بها من قبل..

من هنا كان حسين يطالب دائماً بضرورة إعادة قراءة تاريخ مصر، ويرشد العديد من المثقفين إلى المصادر التي تحوي مثل هذه الحوادث والحقائق التي يستهجنونها، مثل **تاريخ الجبرتي وبدائع الزهور في وقائع**

الدهور، وخطط المقريزي والنجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة وغيرها من المصادر..

وحدث أن أرشد حسين بعض المثقفين إلى قراءة ترجمة مصر في كتاب **معجم البلدان** لياقوت الحموي فكانت ردة فعلهم بعد قراءة هذه الترجمة غاضبة وناقمة..

البعض منهم رأى في هذه الترجمة تجنياً كبيراً على مصر وتاريخها العظيم حسب تصوره، والبعض الآخر قررأن يتوقف ويعيد قراءاته من جديد، وقلة قليلة هي التي رأت أن ما ذكره ياقوت عن مصر وأهلها هو صحيح وأن الواقع يؤكده..

وهذه القلة من أصحاب العقول النابهة لم تكن تجد تفسيراً لما يجري ويدور من حولها على أرض مصر، من قبل الفراعنة الحاكمين وأفراد الشعب ووجدت هذا التفسير من خلال المصادر التاريخية المشار إليها..

ووجدت تفسيراً لتحول حكام مصر على الدوام إلى فراعنة من خلال طرح حسين المخالف لما هو سائد، والذي يؤكد لهم **أن من حكم مصر ملكها** ليتحول الشعب المصري في ظل حكمه إلى عبيد..

وهي قاعدة توصل لها حسين من خلال قراءاته لتاريخ حكام مصر الذين كانوا يتصرفون فيها كإقطاعية ورثوها عن آبائهم..

ووجد هؤلاء أيضاً تفسيراً لحالة التنافر وانعدام التآلف بين المصريين، وذلك كونهم في الأصل أخلاط من الناس مختلفو الأصناف، كما ذكر ياقوت وغيره، وجدت ذلك كله من خلال وصف المؤرخين لشعب مصر ورصدهم لممارسات حكامها..

وقد عانى حسين كثيراً من خلال سكناه في الأحياء الشعبية وتجوله الدائم في الشوارع والطرقات..

وهذه المعاناة هي التي دفعت به إلى إعادة قراءاته عن تاريخ مصر وشعبها والوصول لنتيجة مفادها أن لها وجه آخر غير الوجه الذي يصوره الإعلام..

والحديث عن الشعوبية ومحاولة الالتصاق بالفراعنة يدين مصر والمصريين فلم يكن الفراعنة سوى عناصر وثنية لا صلة للمصريين الأخلاط الحاليين بهم..

ومثل هؤلاء لا يجوز الاحتفاء أوالالتصاق بهم إلا أن يكون العقل قد غاب والغباء قد غلب..

لكن النفس المصرية المنهارة التي أعلنت عن فشلها في الحاضر انطلقت تستجير بالماضي وأصبح ينطبق عليه المثل المصري القائل: **القرعة تتباهى بشعر بنت أختها**..

وقد أدت حالة البؤس والفقر والشقاء التي عاشها المصريون على يد الفراعنة الحاكمين من مصر وخارجها، ولازالوا يعيشونها إلى إصابة الشخصية المصرية بالكثير من العقد التي صبغتها وزادت من هشاشتها..

وفي مقدمة هذه العقد **عقدة الرزق** التي أصبحت تشكل المعتقد المصري وتحكم العلاقة بالله، فإذا توفر الرزق استقام المعتقد وإذا ضاق اهتز وخرب حتى يصل بصاحبة إلى الكفر..

ورغم المعاناة وضيق العيش يكثر المصري من إنجاب الأولاد ثم يندفع مخاطباً الله بغير أدب معاتباً له ومتهماً إياه بظلمه مردداً: **ليه يارب تعمل فيَّ كده**..

ويلقي أيضاً بالتبعة على الزمن وهو ما يبدو بوضوح من خلال الغناء الشعبي المصري..

ولا يفكر يوماً أن يتأمل واقعة، ويعمل عقله فيما يجري حوله ليعرف أن كل المصائب التي تصب على رأسه سببها الفراعنة الكبار والصغار، الذين يرتعون من حوله، الذين انسحب من أمامهم واتجه إلى الله ليعاتبه عما حل به بسببهم أوأنزل لعناته على الزمن..

وكثيراً ما كان حسين يرى المصريين الغاضبين من حالهم الناقمين على أوضاعهم السيئة يصيحون في الطرقات بقولهم: **آه يا بلد عايزه الولد..**

وجميع المصريين يتمنون ظهور هذا الولد المخلص بقدرة الله دون تحرك منهم مما يدفعهم إلى اتهام بعضهم البعض بالجبن..

وهو ما يفسر لنا القول الشائع على لسان المصريين اليائسين المحبطين في الطرقات: **شعب جبان أو عامل عيشه..**

وعيشه يقصد بها عائشة زوجة الرسول (ص) التي لازال يضرب بها المثل في الجبن على لسان المصريون حتى اليوم وهو من الموروثات الشيعية الباقية في التراث الشعبي المصري..

وهو ما يبدو من خلال المشادات والمعارك التي تقع بين المصريين حيث يتوعد أحدهما الأخر بقوله: **أنا حاخليك تعمل عيشه** أي سوف أجعلك مثل عائشة حين عادت مكسورة من وقعة الجمل الشهيرة التي خاضتها ضد الإمام على..

وإذا أراد المصري أن يضرب مثلاً في الخيبة وقلة الحيلة فإنه يقول: **خيبة الأمل راكبه جمل** وهو مثل ضرب في عائشة بعد عودتها من تلك الوقعة..

وعقدة الرزق عند المصريين ناتجة من البؤس والحرمان الذي عاشوه طوال التاريخ في ظل وطن يشاع أنه فقير..

وناتجة أيضاً من قلة حيلة المصريين وكسلهم وعجزهم عن استثمار ثروات وطنهم، وتركها للغريب يستمتع بها بينما قبلوا هم بالفتات الذي يجود به عليهم..

وهم تكتظ بهم الطرقات والمقاهي ليل نهار حتى أن المراقب لا يدري من الذي يعمل..

ويكثر بين المصريين سب الدين بسبب ضيق الرزق وهو ما دفع بعناصر الجماعات الإسلامية إلى كتابة منشور ألصقوه على الحوائط في الطرقات يقول: **لا تسب الدين..**

كذلك تكثر الجرائم لنفس السبب وهي جرائم تافهة وساذجة وعائدها فتات وكثيراً ما تودي بصاحبها إلى حبل المشنقة..

وهذا يعد من المضحكات وكم بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء، كما قال المتنبي من خلال قصيدته التي وصف بها حال مصر وحكامها، والتي هجا فيها كافورالإخشيدي والمصريين..

والعجيب أن مصر على حالتها التي وصفها المتنبئ لم تتغير حتى الآن..

يقول المتنبي:

حصلت بأرض مصر على عبيد

كأن الحر بينهم يتيم

كأن الأسود اللابي فيهم

غراب حوله رخم وبوم

صار الخصي إمام الآبقين بها

فالحر مستعبد والعبد معبود

والخصي يقصد به كافور الذي كان عبداً وحكم مصر فحول أحرارها إلى عبيد وعبيدها إلى فراعين..

وهكذا جميع حكام مصر عبر تاريخها الطويل يحولون المجتمع إلى طبقتين: **طبقة الفراعنة وطبقة العبيد**، مما لا يجعل للحر الشريف الذي يأبى أن يكون عبداً مكاناً فيها، وليس أمامه سوى أن يرحل منها أو يقتل كمداً..

ومن عقدة الرزق التي تحكمت في الشخصية المصرية تولدت جميع العقد الأخرى، التي جعلت من المصريين أشبه بشعب حاقد على الأثرياء متمنياً زوال النعمة من بين أيديهم ليتحولوا إلى فقراء مثله..

وإذا ما قدر له وملك سيارة أو بيتاً أو متجراً فإنه يخاف عليه من الحساد ويضع عليه لافتة تقول:

عين الحسود فيها دود..

أو: **يا ناس يا شر كفايه قر..**

ولم يكن المتنبي هو الشاعر الوحيد الذي أعلن غضبته في وجه مصر والمصريين، فهناك الكثيرين غيره نقل ياقوت بعضاً من أشعارهم في كتابه، وكذلك المقريزي في مقدمة خططه..

كذلك هناك العديد من الشعراء المعاصرين الذين وجهوا نقداً لاذعاً لمصر والمصريين..

منهم أحمد شوقي الذي قال واصفاً المصريين في مسرحية مصرع كليوباترا: **هداك الله من شعب برئ يصرفه المضلل كيف شاء..**

والشاعر عبد الحميد الديب الملقب بشاعر البؤس الذي قال في مصر والمصريين:

أعيش في أمة ضاقت رغائبها

بالدر وانصرفت حمالة الصدف

إذا رغبت عبيداً فالتمس ملأ

بمصر يحيون كالأغنام بالعلف

ومن المشهور قصة شاعر العامية نجيب سرور الذي كتب قصيدة طويلة بالعامية يهجو فيها مصر والمصريين..

وكل ما رصده هؤلاء الشعراء القدامى عن مصر والمصريين هو واقع فيها اليوم لم يتغير منه شيء، وجاء شعراء الحاضر ليؤكدوا لنا ذلك الوصف الدقيق لحالها وحال شعبها..

وكان رد الفعل هذا يؤكد لحسين نظريته في أمية هذا الشعب وسذاجته وعدم وعيه بتاريخه بل بما يجري من حوله..

وتبين له أن الأمثال الشعبية المتداولة بين المصريين منذ آلاف السنين لم تقرأ قراءة كافية أو بمعنى أصح عتم عليها لكونها تكشف الجوانب الخفية في الشخصية المصرية..

كذلك الأدبيات والسير الشعبية التي يتعلق بها المصريون من قديم هي تعكس حالة انهزام الشخصية المصرية وعلى رأسها **سيرة أبو زيد الهلالي**..

ومن السير المعاصرة سيرة **أدهم الشرقاوي** الذي صورته الذهنية المصرية على أنه بطل وقف في وجه الحاكم التركي الطاغية (الباش أغا) بينما هو في الحقيقة لم يكن سوى لص وسفاح وقاطع طريق..

ومن الأمثال الشعبية المصرية التي أطلقها المصريون على أنفسهم مثل يقول: **زماره تجمعهم وعصايه تفرقهم**..

وهذا المثل يفسر لنا ما ذكره ياقوت عن ميل المصريين إلى الملذات والشهوات، وإغراق أنفسهم في الزمر والطبل والرقص والغناء، كوسيلة

لتخدير أنفسهم وتغييبها عن الواقع المرير الذي يعيشونه، وهو ما يشير إلى أن الشخصية المصرية ضعيفة ومتهتكة..

وكثيراً ما تجدهم يتجمعون حول نافخ مزمار أو قارع طبول في الطرقات ويصفقون له، وسرعان ما يفرون من حوله في خوف إذا ما ظهر أمامهم عات يحمل عصاة أورجل شرطه مكشراً عن أنيابه..

وحكام مصر على الدوام استخدموا المزمار والعصا في إخضاع المصريين وإن كانت حاجتهم للمزمار أكثر..

وهو ما يفسر لنا شيوع ظاهرة الغناء والرقص في مصر عبر التاريخ وانشغال المصريين بها..

والمصري كما يشهد واقعه يتأثر بالغناء أكثر مما يتأثر بالقرآن، وهو ما يشخص حال المصريين عبر التاريخ، من الاعتكاف حول الذات وعدم المبالاة والانغماس في الملذات، من صور اللهو واللعب والغناء والرقص فهم كما وصفهم ابن خلدون: **أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب**..

وكما وصفهم ابن بطوطة أنهم: **ذو طرب ولهو وسرور**..

وفي حوادث عام (٨٥٤) هـ وقعت مجاعة بمصر ورغم ذلك خرج المصريون بالطرقات وهم يضحكون ويغنون ويهزلون..

وبعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ عادوا إلى اللهو والغناء وكأن شيئاً لم يكن..

وهو ما يمكن رصده من خلال الأفلام السينمائية التي تم إنتاجها في تلك الفترة وأكثرها من ا نتاج الدولة وعلى رأسها ثلاثية نجيب محفوظ..

واليوم يمكن اكتشاف هذه الصورة ببساطة من خلال متابعة القنوات الفضائية المصرية، التي لا تكف عن الرقص والغناء ليل نهار، وهي

مشحونة بصور اللهو واللعب، التي تظهر المصريين وكأنهم يعيشون في كوكب آخر، ولا يعنيهم شيء مما يجري ويدور حولهم..

وهناك المثل الآخر الذي سبق ذكره: **شعب يخاف ولا يختشيش..**

وهذا المثل يؤكد سابقه من أن المصريين يميلون إلى اللهو والشهوات وينغمسون فيها دون حياء، ولا يردعهم سوى الحاكم عن التمادي فيها، ولولا خوفهم منه لكانوا قد فعلوا الأفاعيل، فالمصري يخاف من الحاكم ولا يخاف من الله..

وهو ما يؤكده لنا المثل الآخر الذي يقول: **المصري يخاف من العسكري أكثر من خوفه من الله..**

وكما وصفهم الجبرتي عند حديثه عن الأمير الماجن رضوان كتخذا المتوفى عام١٧٥٤ م الذي كان يملك العديد من القصور الفاخرة، ويتجاهر بالمعاصي ويدعم أصحابها ويمنع الشرطة من التعرض لهم بقوله: **فتحصنت به النساء والمخاليع وخرجوا عن الحد فكانت مصر في تلك الأيام مراتع غزلان ومواطن حور وولدان كأنما أهلها فرغوا من الحساب ورفع عنهم التكليف والخطاب..**

والعجيب أن المصريين يتداولون مثلاً يقول: **يا فرعون إيش فرعنك قال مالقتش حد يصدني..**

وهو مثل يدل على سلبية الشخصية المصرية التي تترك الفرعون يتمادى في غيه وظلمه ثم تبرر ذلك بعدم وجود من يتصدى له ويوقفه عند حده..

وهناك مثل مصري يقول: **ولاد الحرام كتير..**

وهذا المثل يشير إلى اعتقاد المصري بفساد شعبه واعوجاجه، وأن هذا الفساد والاعوجاج يعود سببه إلى كثرة أولاد الحرام في وسطه،

حتى طغوا على أولاد الحلال وسدوا جميع الأبواب في وجوههم، وهو ما يظهره المثل الآخر القائل: **ولاد الحرام ما خلوش لولاد الحلال حاجه..**

واكتشف حسين أيضاً العديد من الأمثلة الأخرى التي تعكس سلبية المصريين وافتقادهم الهمة وقلة حيلتهم وتبرير وقابليتهم للاستعباد منها:

الناس مقامات..

بات مغلوب ولا تبات غالب..

إن كان ليك حاجه عند الكلب قوله ياسيدي..

اللي يبص لفوق يتعب..

حلال كلناه حرام كلناه..

ومن الأمثلة التي تدل على التنافر وعدم التجانس وشيوع الشر والفسق بين المصريين:

نهيتك مانتهيت والطبع فيك غالب وديل الكلب لم ينعدل ولو علقوا فيه قالب..

اللي ما يرضى بحكم موسى يرضى بحكم فرعون..

شابت لحاهم والعقل لسه ما جاهم..

كل دين واشرب دين وإن جاك صاحب الحق أخرمله عين..

تفو على وش الرذيل قال دي مطره..

تحت البراقع سم ناقع..

ازرع ابن آدم يقلعك..

اللي يربط في رقبته حبل ألف من يسحبه..

أخته في الخمارة وعامل أماره..

أكل الحق طبع..

اللي تلاقيه موسى يطلع فرعون..

وهذا المثل الأخير اكتشف حسين حقيقته من خلال تعامله وخاصة مع العديد من أصدقائه ومعارفه، وأكد له أن داخل كل مصري فرعون صغير يظهر وقت اللزوم..

■ ■ ■

11

المنهزمون

كان حسين يتوقف كثيراً أمام العديد من التساؤلات التي تدور في أذهان المصريين ولا يجدون لها إجابة..

كيف تدار مصر وهي تعيش هذا الكم من الفوضى والتسيب..؟

وكيف هي صامدة وباقية على الخارطة..؟

ولماذا حال بلدهم هكذا لا يتغير..؟

ولماذا سبقتهم وتفوقت عليهم الكثير من الدول التي لا تملك نصف أو ربع إمكانياتهم..؟

ولماذا يشعر المصري بالغربة في وطنه..؟

ولماذا ينتهك فيه على الدوام..؟

ولماذا لا يرتقي حاله إلى الأفضل..؟

ولماذا يشعر أنه في سجن كبير ويرنو ببصره دوماً إلى الخارج..؟

ولماذا يتعمد تغييب نفسه عن الواقع عن طريق الانغماس في اللهو وسائر أنواع المخدرات..؟

ولماذا هو كثير الكلام قليل العمل..؟

ولماذا يبدو أمام المراقب وكأنه لا يعاني شيئاً وحاله على ما يرام..؟

ولماذا يرتكب مثل هذه الجرائم البشعة..؟

ولماذا يتحول إلى أسد في مواجهة الآخرين ويتحول إلى أرنب في مواجهة الحكومة..؟

ويتوقف أيضاً أمام الكثير من الكلمات التي تجري على ألسنة المصريين وتتردد في الأفلام والمسلسلات والأغاني دون الإشارة إلى معنى محدد لها..

والأغرب أن المصريين لا يعرفون ما هو المقصود بهذه الكلمات ورغم ذلك يرددونها كالببغاوات..

من هذه الكلمات: **زمبليطه وهيصه وزيطه ولمض وجعلص وبقلظ وشرم برم وحلنجي وهجص وأرندلي وكوتو موتو والسح الدح امبو وشوبش وبعجر وزفلطه وألسطه وبطسته وبقلوله وكرديا وهوسه وكونونو ودوكه وشرشوحه وأزعه وطنش وهمبكه وغيرها كثير..**

وهناك كلمات أخرى أكثر غرابة يتداولها الجيل الجديد وهي تظهر بوضوح من خلال موجة الأفلام الشبابية وكذلك الأغاني الشعبية ومعظم هذه الكلمات من ابتداع المصريين..

وتداول مثل هذه الكلمات بين المصريين خاصة في الأفلام والمسلسلات يظهر بوضوح أنهم من السهل عليهم أن يضحوا بلغتهم..

والمراقب لهذه الأفلام والمسلسلات لا يجد فرقاً بين ما تعرضه وما يجري في النوادي الليلية، ولا يجد سوى الأحضان والقبلات والرقص والغناء والجريمة وسوء الخلق والعقد النفسية..

وما أكثر المفاسد والموبقات وصور الانحطاط والجرائم التي ترصدها مثل هذه الأفلام والمسلسلات والتي لا تستوعبها مجلدات..

وهو ما يجعل المصريين ينطبق عليهم مقولة: **إن لم تستح فاصنع ما شئت..**

وأصبح لا يعني المؤلف أو المنتج أو المخرج أو الممثل أو حتى الحكومة التي تسهم في إنتاج هذه الأفلام والمسلسلات صورة مصر ولا كرامتها..

وكل ما يعنيهم هو تحقيق أكبر قدر من الأرباح من وراء هذه الأعمال الهابطة المقززة التي تستخف بالعقول..

وهو يشير إلى أن الإعلام يقود إلى الإفلاس والتسيب وتفريغ العقول وكأنه يؤكد أن طريق الثراء والرقي يبدأ من هنا..

وهو يسعى من جانب آخر إلى توطين الخرافة في نفوس المشاهدين، من خلال الدعوة إلى فكرة تحضير الجن والأرواح، وقراءة الفنجان ومعرفة الغيب عن طريق الورق، وتسويق المقولات الكاذبة مثل مقولة: **التعيس في الحب سعيد في اللعب**، أي لعب القمار، وكذلك معرفة الغيب من خلال ضرب القواقع أو ما يسمونه بالودع..

ومهنة ضرب الودع كان يقوم بها نساء الغجر في مصر، حيث كانوا يطوفون على البيوت والأماكن العامة حاملين الودع على رؤوسهم، فيما يسميه المصريون (قفه) وقد انقرض الغجر اليوم، وانقرضت معهم مهنتم بعد أن ذابوا في وسط المصريين..

والإعلام يجاري بهذا السلوك الشخصية المصرية القابلة للتغييب الغارقة في تفسيرالأحلام والاتصال بالجن والاستنجاد بالدجالين والمشعوذين..

والغريب أن المصري يواجه هذا السفه الإعلامي وصور اللهو والمجون السائدة من حوله بابتسامة رضا..

وهو لا يفكر أن يسأل نفسه كيف لبلد يملك كل هذه الإمكانيات يعيش هذا الفقر..؟

وما هو السر وراء حالة الإحباط والإفلاس والفشل الدائم في النهوض والتقدم وتحسين الأحوال المعيشية، رغم توافر كل هذه الإمكانيات..؟

والجواب يكمن في حالة الإغراق في اللهو عند المصريين التي جعلتهم يستخفون بكل شيء، حتى بدينهم ووطنهم ولا يميزون بين الحلال والحرام، ولا يريدون معرفة الفواصل بينهما خاصة، إذا كان الأمر يتعلق بلقمة العيش، وهو ما يجسمه المثل المذكور سابقاً: **حلال كلناه حرام كلناه..**

وفي مصر الكثير من المسئولين الذين جمعوا ثروات ضخمة عن طريق العمولات والتسهيلات والخدمات وتمرير السلع الفاسدة..

والكثير من الراقصات اللاتي يتفنن في هز مؤخراتهن وكشف سيقانهن والتلاعب بجسدهن، لجمع المزيد والمزيد من الأموال إلى أن يفنى شبابهن، وعندما يجدن زمانهن قد ولى تعلن الواحدة منهن اعتزالها وتوبتها..

والكثير من الذين يطلق عليهم الدعاة الجدد استوطنوا القنوات الفضائية ليصرخوا في وجه الناس ويرهبوهم، ويسمموا أفكارهم باسم الدين، ويتهافتون على الأجور العالية التي تدفعها هذه القنوات ويعتبرونها بركة ورزق من الله..

والأدهى من ذلك أن الحكومة لا تتحرك لمواجهة مثل هؤلاء الدعاة الذين يهددون السلام الاجتماعي وأمن الوطن..

ويوماً دار حوار بين حسين وأحد ضباط الأمن في مكتب أمن الدولة الذي كان كثيراً ما يستدعى إليه:

قال الضابط: نحن جميعاً في خدمة الوطن..

قال حسين: يجب أن نتفق أولاً على الطريقة التي نخدم بها الوطن..

قال الضابط: فسر كلامك..

قال حسين: أنتم تضغطون على الكتاب والمثقفين وتهددوهم وتعتقلوهم بدلاً من أن تدعموهم ليقاوموا الإرهاب والتطرف، وكثيراً ما تصادروا كتبي وكتبهم مع أن هذه الكتب ضد الإرهاب والتطرف، هذا في الوقت الذي تكتظ فيه الساحة بعشرات الكتب التي تدعو للإرهاب وتضفي عليه المشروعية، مثل كتب ابن تيمية وابن القيم وفقهاء الوهابية، وهذه الكتب لا أحد يصادرها ولا تتحركون لمنعها ومعاقبة ناشريها، بل إن البعض منها يطبع بمباركة الأزهر المؤسسة الدينية للدولة فهل هذا يخدم أمن الوطن..؟

قال الضابط: أنت تريد منا أن نمنع الناس من معرفة الدين والدستور ينص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام..

ولم يجد حسين رداً على كلام هذا الضابط الغبي فقال: **أنتم تقاومون الجماعات المتطرفة وكل يوم تبرز لكم جماعة جديدة بسبب هذه الكتب التي تمثل منابع الإرهاب، فإن لم تتحركوا لسد هذه المنابع فسوف نظل ندور في دوامة الإرهاب والتطرف..**

وبالطبع كان هذا الحوار فوق مستوى الضابط وقدراته فهو يشعر في قرارة نفسه بأن هناك خطأ ما، لكنه لا يريد أن يشغل نفسه به أو يفكر فيه لكونه مجرد منفذ للأوامر دون تفكير..

والأوامر لم ولن تصدر بالتحرك لسد هذه المنابع وذلك لكون هذه الجماعات جزء من اللعبة السياسية التي تلعبها الحكومة على حساب الوطن وجهاز الأمن أيضاً جزء من هذه اللعبة..

ولا يمكن القول أن رجل الأمن المصري ليس لديه قناعة بما يرتكب من جرائم في حق المواطنين المستضعفين، وإنما هو يرتكب جرائمه بقناعة كاملة فتنفيذ أوامر الفراعنة الكبار في منظوره نوع من العبادة، وهو ما يبرر المثل الشهير المتواتر على ألسنة المصريين: **أنا عبد مأمور**..

وبواسطة الأوامر تقتل الناس في أقسام الشرطة والمعتقلات وتؤخذ النساء رهائن من اجل إحضار المطلوبين..

وهو مايشهد به واقعها المعاصر الذي استقبل الراقصات الروس وأفسح لهن الطريق لينتشرن في كل مكان، واستقبل أيضاً بنات الليل القادمات من بلاد الشام وبلاد المغرب، حاملات حقائب الدولارات التي تم جمعها من عرق الليالي وتحويلهن لمطربات وفنانات، تسلط عليهن الأضواء ليل نهار ويصفق لهن المصريون ويلهث ورائهن رجال الأعمال وأبناء الأثرياء..

■■■

12
الحر والعبيد

سيطرت على حسين العديد من الهواجس وتواترت أمامه العديد من المشاهد المؤلمة التي مرت عليه، وقد أدى ذلك إلى فقدانه القدرة على النوم، فكان يشغل نفسه بالقراءة تارة والكتابة تارة أخرى، وكثيراً ما كان يقضي الليل متجولاً في غرفته..

كانت الحوادث التي مرت به وصور الاعتداء والأذى التي لحقته كافية للقضاء عليه نفسياً إلا أنه كان يتسلح بالصبر منتظراً الفرج من عند الله..

والفرج في مفهومه كان الرحيل من مصر وهو ما كان يشغل فكره منذ سنوات إلا أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة..

كان حسين يخشى على نفسه من أن يصاب بالجنون أو يصيبه ما أصاب بعض المثقفين الراحلين الذين ماتوا كمداً أو سقطوا في قارعة الطريق ولم يعبأ بهم أحد..

وتذكر صديقه الطبيب الذي كان ينشر مقالاته في صحف المعارضة ويتألم لحال مصر ويشاركه تصوراته عن شعبها، حين سقط أمامه في سوق الكتب القديمة بحي السيدة زينب الذي كان يداوم على التواجد فيه، وفاضت روحه على الرصيف..

وكيف أصر مأمور قسم الشرطة المجاور للسوق على إرسال جثته للمشرحة لمعرفة سبب الوفاة لولا وساطة البعض، لينتهي الأمر بتسليمها لأهله ليدفن في صمت وكأن لا يعرفه أحد..

وتذكر أيضاً أحد معارفه من رموز المعارضة ورئيس تحرير صحيفة حزبية تم إغلاق حزبه وإيقاف صحيفته، عندما أصيب بانفجار في المخ نقل على أثره إلى المستشفى ليلفظ فيها آخر أنفاسه..

وهو يرى أمامه الكثير من السفهاء والساقطين في عالم الصحافة والإعلام، وقد تم تصعيدهم وتسليمهم كبريات الصحف القومية والقنوات الفضائية، بعد أن أشهر القدامى إفلاسهم وفاحت رائحتهم..

ويرى الكثير من المثقفين النابهين أصحاب الرأي وكيف انهاروا تحت وطأة الضغوط المعيشية واستسلموا للأمر الواقع..

ومنهم من سار في ركاب السلطة وسلطت الأضواء عليهم وفتحت أمامهم الأبواب على مصارعها ليدخلوا عالم الأثرياء..

ومنهم من اختل عقله فأصبح يهيم في الطرقات يحدث نفسه ويسخر منه العامة..

ولازال حسين يذكر صديقه الصحفي الذي كان يردد أمامه دائماً: **عايزين ناكل عيش**، وكيف أصبح رئيس مجلس إدارة إحدى المؤسسات الصحفية ويدافع باستماتة عن الفساد والمفسدين بعد أن انتمى إلى زمرة الفراعين..

وكذلك صاحبه الآخر وكيف أصبح رئيس تحرير صحيفة ومجلة حكومية في آن واحد بالإضافة إلى إدارته لمكتب صحيفة خليجية كبيرة..

وآخرين لم يجدوا لهم مكاناً وسط هؤلاء ففروا إلى صحف المعارضة والقنوات الفضائية من أجل أكل العيش..

وهؤلاء وهؤلاء وضعوا أنفسهم في خدمة مخابرات الأمن القومي ومباحث أمن الدولة كي ينالوا الرضا ويتجنبوا القضا..

وكلمة عيش يقصد بها في اللهجة المصرية الخبز الذي يشكل في الوجدان المصري من قديم وسيلة البقاء على قيد الحياة التي يضحى من أجلها بكل شيء حتى العرض والكرامة والأخوة والصداقة..

وعلى الرغم من ذلك كله بقى بعض الأصدقاء ملتصقين بحسين، منهم من كان يشاركه آلامه ومتاعبه، إلا أنه لا يمكنه أن يكون على شاكلته، ويجهر بما يجهر به من آراء، ومنهم من هجره مخافة منه ومنهم من كان عالة عليه..

من هؤلاء واحد من كتاب أدب الأطفال كان معاشه لا يتجاوز الأربعمائة جنيه..

وآخر كان من كتاب القصة القصيرة كان معاشه يصل إلى تسعمائة جنيه، هذا بعد أن قضا كلاهما في العمل الحكومي أكثر من ثلاثين عاماً قبل أن يحال كل منهما إلى المعاش..

الأول كان ضعيف الشخصية وله ولد يعتبره كل شيء في حياته جعل من نفسه خادماً له وهو مستسلم لرغباته على الدوام..

وله ابنة مطلقة تعيش إلى جواره مع ابنتها الصغيرة إلا أن حبه لولده كان يفوق حبه لابنته بكثير..

أما زوجته فلم يكن يكنٌ لها أي حب وكان يعتبرها مجرد خادمة له وللولد وهي بدورها كانت مستسلمة لهذا الوضع..

ويوماً أصابه حادث بسيط في الطريق فأخذ يبكي كالأطفال وكان سبب بكائه هو فزعه من الموت وتصوره أنه سوف يترك ولده وحيداً ضائعاً من بعده..

أما الثاني فقد كان مطلقاً وكانت له ابنة مطلقة أيضاً تعيش معه هي وولديها وتشكل ضغطاً كبيراً عليه بينما هو خاضع مستسلم لها..

وكان كلاهما كثير التواجد عند حسين الذي يسكن على مقربة منهما، وهما في نظره كانا يعدا نموذجاً للشخصية المصرية الضعيفة المتناقضة التي تجبن في مواجهة مشاكلها، وتقول مالا تفعل وهما فوق ذلك كانا يشكلان عبئاً عليه..

كاتب أدب الأطفال لم يكن يحسن تربية ولده وكان يخالف كل أصول التربية التي يدعوا لها في تعامله معه وكثيراً ما يضطر للاستدانة من حسين ليلبي مطالبه..

أما ابنته المطلقة التي ملكت شقة من زوجها السابق غير المصري وتعيش في يسر فلم يكن يملك سلطاناً عليها ولا يجرؤ حتى على الاستدانة منها..

وكاتب القصة القصيرة لم يكن يملك السيطرة على ابنته التي كانت تستنزف دخله مما كان يدفعه للاستدانة من حسين أيضاً..

وعندما أنهى ولد الأول المرحلة الثانوية لم يحصل على نتائج تتيح له دخول أحد الكليات الكبيرة، فنصحه حسين بأن يدخله أحد الكليات العسكرية، أو كلية الشرطة ليرح نفسه من الإنفاق عليه ويضمن له وظيفة حين تخرجه..

إلا أنه لم يقبل نصيحته وقرر إدخاله أحد المعاهد الخاصة ذات المصروفات العالية وهو لا يملك إلا دخله الذي لم يكن يكفي لإطعامه هو وأسرته وذلك من باب الخوف عليه..

ونتج عن هذا التصرف أن دخل في دوامة الديون التي لا يستطيع سدادها يوماً وأخذ يكتب ليل نهار ويبيع إنتاجه بأبخس الأثمان وكل ذلك من أجل ولده الذي لا يشعر به من الأصل..

والطامة الكبرى أن الولد تم استقطابه من قبل عناصر الجماعات السلفية وقرر إطلاق لحيته وارتداء الجلباب الأبيض القصير الذي تعده الزي الشرعي لها..

وحذر حسين صاحبه من هذا الخطر الذي حاق بولده والذي هو نتيجة لتربيته الخاطئة له من الأساس، إلا أن شخصيته الضعيفة لم تمنحه القدرة للضغط عليه ولم تفلح محولات حسين لإبعاده عن طريق الجماعات..

وحدث أن قررت ابنته الزواج من رجل متزوج بأخرى ولا يناسبها غير أنه على قدر من الثراء ويمكن الانتفاع منه وتزوجته بالفعل..

إلا أن هذا الزواج لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما اكتشفت الزوجة الأولى الأمر وخيرت زوجها بينها وبين زوجته الجديدة..

ولم يكن في صالح الزوج التخلص من زوجته الأولى لكونها كانت شريكته في أعماله فقرر التضحية بالزوجة الجديدة والتضحية أيضاً بمؤخر الصداق الذي كان كبيراً..

وربحت ابنته من هذا الزواج القصير مبلغاً كبيراً من المال لم ير والدها منه شيئاً فقد كانت شديدة البخل حتى على أبيها المحتاج وأسرتها..

أما الثاني فقد أوقعته ابنته في مشكلة كبيرة عندما قررت الزواج من جار لها متزوج بأخرى هي ابنة عمه العاقر، والتي فور أن علمت بخبر زواجه حتى أرغمته على طلاقها فطلقهاوكانت حامل منه في شهرها الثاني..

ولم يكن هذا الزواج رسمياً بل كان زواجاً عرفياً، وتحت ضغط زوجته الأولى اضطر إلى عدم الاعتراف بالولد، وطالبها بإسقاطه،

ووافقت على ذلك رغم خطورته وتهديده لحياتها، واشترطت أن يتحمل هو نفقات عملية الإسقاط الذي تم سراً في إحدى العيادات دون وقوع إصابات، وعادت الابنة لمزاولة حياتها وكأن شيئاً لم يكن..

كل هذا كان يجري ووالدها يقف موقف المتفرج ولا حول له ولا قوة رغم خروج ابنته من هذا الزواج صفرة اليدين..

وبعد فترة فاجأت والدها بقرارها الزواج من رجل آخر متزوج أيضاً وله أولاد وفوق ذلك هو صاحب عاهة..

ورضخ والدها لهذا الزواج الذي زاد من الأعباء عليه إذ ظلت ابنته وأولادها إلى جواره وزاد عليهم الزوج الجديد الذي يأتي كل فترة ليضاجع ابنته ثم يرحل في سلام..

وحدث أن أنجبت ولداً من هذا الزوج لتصبح شقته الصغيرة أشبه بحضانة الأطفال..

وكاتب القصة القصيرة هذا كان يتواجد دائماً في إحدى الفنادق الصغيرة في وسط البلد ليتسامر مع بعض أصدقائه من كتاب القصة وشعراء العامية..

وكانت لهم صاحبة تشاركهم هذا المجلس وهى امرأة من الإسكندرية تعمل (كومبارس) وتسكن هذا الفندق..

وكانت هذه المرأة تمارس الدعارة كلما سنحت لها الفرصة أو ضاق بها الحال..

وحدث حين عودتها إلى الفندق أن أشار لها صاحب سيارة فركبت معه وحين اختلى بها تبين أنه عاجز جنسيًا..

ورغم ذلك أعطاها مائة جنيه فعادت إلى الفندق مسرورة حاملة كيلو من الكباب دعت أصحابها بما فيهم كاتب القصة القصيرة لتناوله معها..

ولبى الجميع الدعوة بسرعة وانقضوا على الكباب في نهم ودون حساب، بينما كانت المرأة تقص عليهم قصتها مع صاحب السيارة، وكيف حصلت منه على ثمن الكباب..؟

وثالث هؤلاء الأصدقاء كان واحداً من مدعي الثقافة المتمسح بالمثقفين وعبد الناصر ويعمل بالتجارة..

وقد أتم صاحبنا هذا تعليمه وتخرج من كلية الزراعة ولقب نفسه بالباشمهندس، رغم كونه لم يعمل في مجال الزراعة ولا الهندسة من الأصل، بل عمل مع والده في التجارة ثم استقل بنفسه بعد وفاة والده..

وأمثال هؤلاء أصبح لهم وجود وصوت ببركات التعليم المجاني وتذويب الفوارق بين الطبقات وهو ما يفسر تعصب المذكور لعبد الناصر..

وكان حسين قد أهداه بعض الكتب ثم اكتشف أنه لاصلة له بالقراءة وأنه مجرد مدعي..

وتبين له بعد ذلك أن شغله الشاغل هو الفن والفنانين والحديث عن النساء والجنس، وأن حالته هذه تعود لكونه كان من الذين قطعوا السمكة وديلها، إلا أنه بعد الزواج عاني من الحرمان الجنسي مع زوجته الموظفة، والتي لا يجرؤ على الصدام بها ويعيش في بيتها، وهي حالة يعيشها الكثير من المصريين..

ويالطبع لا يمكن لهذا أن يستمر في صداقة حسين لاختلاف التطلعات والميول، حيث كان حسين ينتقد الفن والفنانين، ويكشف عوراتهم على الدوام، ويتحدث كثيراً في السياسة والموضوعات الجادة، مما شكل إزعاجاً لصاحبنا الفارغ الذي يخاف من السياسة، ويشغل نفسه دائماً بالحديث عن الجنس وأخبار الفنانين ومتابعة أعمالهم..

وحدثت القطيعة بينهما إلا أنه استمر في علاقته بالقصاص وكاتب أدب الأطفال الذين كانا يجاريانه في أحاديثه التافهة، ويشاركانه في جولاته بين دور السينما وأماكن اللهو ويقترضان منه المال أيضاً..

وقد ضمت هذه المجموعة واحد من شعراء العامية من ضعاف الشخصية أيضاً كان يعمل موظفاً في الجامعة ويكتب بالإضافة إلى ذلك أغاني للمسلسلات التلفزيونية وبعض مطربي (الكاسيت)..

وكان هذا الشاعر يقيم في القاهرة بعيداً عن زوجته المشاكسة التي تقيم في الإسكندرية مع أولادها، والتي كثيراً ما كانت تعتدي عليه بالسب والشتم والتعيير، مما دفع به إلى الفرار منها نحو القاهرة ليقيم مع أمه الطاعنة في السن، التي كان يضيق بها وكثيراً ما يسبها ويتمنى رحيلها..

وكانت والدته تسكن في بيت قديم بحي طولون وفي حارة تسمى حارة العبيد تقع على جانب مسجد ابن طولون..

ويقال أن هذه الحارة كان يسكن فيها عبيد ابن طولون في الماضي ولا زالت تحمل اسمهم حتى اليوم..

وابن طولون كان واحداً من قادة الترك الذين حكموا مصر من قبل الدولة العباسية وحاول الاستقلال بها عنها..

وكان ولده خمارويه قد زوج ابنته قطر الندى للخليفة العباسي في احتفال أسطوري على حساب مصر والمصريين، أضيئ له الطريق من مصر إلى بغداد، لكن ذلك لم يشفع له عند العباسيين الذين قاموا بغزو مصر، وأسقطوا دولته وحرقوا عاصمته التي كانت تسمى القطائع..

أما ساكن حارة العبيد من باب الادخاروخوفاً من التبديد فما كان يجنيه من مال يسرع به نحو الإسكندرية ليسلمه لزوجته، ثم يعود

مسرعاً دون أن ينال منها شيئاً، ويعيش بعد ذلك على الاستدانة من حسين وبقية المجموعة، ودون أن يرد شيئاً مما استدانه..

ووصل به الأمر إلى إنكار ما استدانه من بعض أفراد المجموعة وهو كاتب قصص الأطفال، الذي كان بحاجة ماسة للمال، ليصل الأمر إلى الشرطة ويضطر لدفع ما عليه له، ويخسر المجموعة التي قررت مقاطعته، دون أن يسترد بقيتهم دينهم منه وعلى رأسهم حسين..

وكان لحسين صاحب آخر يعمل في مهنة حياكة الملابس يعد نفسه من الأشراف، كان في صغره من أشبال الإخوان، ثم تحول بعد بلوغه إلى جماعة القرآنيين، وقد وجد في حسين موافقة له في العديد من الآراء التي يطرحها حول الأحاديث النبوية، وهو بدوره كان يوافق حسين في آرائه عن مصر والمصريين..

وكان صاحبه هذا يعيش متقشفاً ويمضي معظم أيامه صائماً ويتميز بعقلية انعزالية متخلفة سببت له الكثير من المشاكل مع أسرته، التي كانت تتكون من زوجته وأولاده الثلاثة، ومع جيرانه وزملائه في العمل وحتى مع أصدقائه ومعارفه أيضاً..

وكثيراً ما كان يترك البيت ويهجر زوجته وأولاده الذين كانوا يعانون منه بسبب غلظته معهم وقلة إنفاقه عليهم، بالإضافة إلى تكرارتركه لعمله دون سبب، والاعتكاف وحده في مكان مجهول لعدة أيام دون طعام..

ويوماً ترك مصنع الملابس الذي كان يعمل به بسبب مطالبة صاحب العمل له بالاشتغال في الملابس النسائية وذلك بسبب كراهيته الشديدة للنساء..

ونتج عن سلوكه هذا أن تركت له زوجته البيت مع أولادها ليصبح فيه وحيداً مسروراً بهذه الوحدة، لكن هذا السرور لم يدم طويلا، إذ ظهر فأر داخل البيت فقام بمطاردته دون جدوى، فقرر التضحية بقرص الفلافل الذي كان ينوي أكله، وحشاه بسم الفئران ووضعه في خزانة المطبخ ليخلص من هذا الضيف اللعين..

وفي اليوم التالي اشتد به الجوع وفي غفلة منه اتجه إلى خزانة المطبخ وتناول قرص الطعمية المسموم وأكله دون أن يدري ليسقط على الأرض صارخاً يتلوى من الألم..

وهداه تفكيره إلى علبة الملح فزحف نحوها وأمسك بها وأفرغها في إناء مع قليل من الماء وشرب ما فيه، وبعدها أخذ يتقيأ ما في أمعائه، وظل مستلقياً على الأرض، ولم يسترد عافيته إلا في الصباح..

واستمر على هذا الحال ليصطدم بحسين ويطلق زوجته معتزلاً الجميع بما فيهم أولاده..

وفي محيط الأشراف تعرف حسين على عائلة من مدعي الانتساب للرسول لها طريقة صوفية..

التصق به أفراد هذه العائلة باعتباره من محبي أهل البيت ومن الكتاب البارزين في هذا المجال..

وتمكن كبيرهم الشريف كما كان يلقب نفسه هو وأفراد عائلته من إقناع حسين بترك القاهرة والإقامة بجوارهم في الأسكندرية..

وأوهمه يوجود شقة خاصة له في عمارة تابعة لشقيقه هناك..

وصدقه حسين وحمل مكتبته وأثاثه واتجه نحو الأسكندرية ليجد عمارة لم تكتمل ويبحث صاحبها عن زبائن ليرفع بهم عمارته..

ووجد حسين نفسه أمام الأمرالواقع وألقى بكتبه وأثاثه في شقة اختاروها له عبارة عن جدران من الطوب تكسو أرضيتها أكوام من الرمال..

ولم يجد حسين مكاناً للنوم فاستضافه أحد أشقائهم في بيته ثم تحول للشقة المجاورة لشقته التي كانت جاهزة للسكنى ولم يتسلمها صاحبها بعد..

وفوق هذا طالبوه بمقدم الشقة ومن حسن حظ حسين أنه كانت لديه بعض المدخرات فقدمها لهم وتملك شقة بدون تجهيز..

ثم تركوه يواجه الأمر الواقع..

ودخل في دوامة تجهيز الشقة على حسابه وعلى مراحل عانى فيها كثيراً من سوء خلق الحرفيين وخراب ذممهم..

وأخذ يلعن الساعة التي تعرف فيها على هذا (الشريف) وجاء فيها إلى الأسكندرية..

وأكثر حسين من لعناته عليه وأفراد عائلته بعد أن تبين له أن هذه العائلة لا صلة لها بالدين أوالرسول، وأن كبيرهم ليس سوى نصاب يتاجر بنسبه وأنه ملاحق من قبل الكثيرين وله فضائح مشهورة..

وأنه كان يأخذ الكتب من حسين ليقوم بتوزيعها فيقوم يبيعها لحسابه ولا يحصل حسين منه على شئ..

والأسوأ من ذلك تبين لحسين أن هذه الكبير أخذ من شقيقه عمولة في مقابل إحضار حسين للسكنى في عمارته..

وأن الشقة المجاورة التي يقيم فيها مؤقتاً هى شقة استولى عليها من شقيقه في مقابل العمولات التي فرضها عليه مقابل من يحضره من زبائن وعلى رأسهم حسين..

ودارت معارك بين الكبير وشقيقه بسبب هذه الشقة راح ضحيتها حسين الذي لم يتمكن من الحصول على عقد التمليك الخاص بشقته..

وهناك صديق آخر من عائلة ثرية كانت له طموحات كبيرة بالعمل في مجال السياسة والوصول إلى أعلى المناصب، ودفعه طموحه للالتصاق بالجماعات الإسلامية لفترة ثم تركها ليعمل في مجال الصحافة، وأدار مكتباً لأحد الصحف الخليجية، وكان حسين يعمل معه في نفس المكتب، ثم تركه بعد أن تبين له أنه يستغله ويستثمر ما لديه من معلومات عن الجماعات لحسابه الخاص..

ومن أجل كسب الأضواء ولفت الأنظار إليه قام بالاتفاق مع بعض عناصر الجماعات على تصوير فيلم قصير عن التعذيب في المعتقلات المصرية..

وأدى عناصر الجماعات دورهم بنجاح بغرض إحراج الحكومة وتعريتها، فقاموا بتعصيب أعينهم وتعرية أجسادهم، وصنع علامات على ظهورهم تبدو كالجروح الناتجة عن ضرب السياط، وذلك في داخل غرف مظلمة تشبه زنازين المعتقلات..

وتم اكتشاف الأمر وقامت الصحيفة الخليجية بطرده من مكتبها ثم قرر السفر إلى موسكو وعاد بعد فترة قصيرة برسالة (دكتوراه) حول الحركات الإسلامية..

وعندما فتح باب تكوين الأحزاب تمكن من تكوين حزب سياسي ببعض الألاعيب وأصبح رئيساً له، وتمكن من دخول مجلس الشعب، ثم تقدم لترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية في مواجهة مبارك في الدورة الماضية إلا أنه لم يفز بالطبع..

وقررت الحكومة معاقبته وفتح ملفه فأصدرت أمرها بالقبض عليه وتقديمه للمحاكمة بتهمة تكوين حزب عن طريق التزوير ليصدر الحكم عليه بالسجن عدة سنوات..

كان صاحبنا لا يدرك حدود اللعبة السياسية في مصر ولا يدرك أيضاً تركيبة الواقع الذي يتحرك على ساحته..

ومن نماذج أصحاب حسين من حملة رسائل الدكتوراه واحد من موظفي الدولة، قام بتجميع ما في بعض الدراسات المنشورة عن الحركات الإسلامية، وعلى رأسها الدراسة التي كتبها حسين، ووضع لها مقدمة وحصل بها على درجة الدكتوراه..

ولم يكتف بهذا بل قام بافتتاح مركزاً وهمياً للدراسات يحتال به على صغار الكتاب الذين يستولي على أعمالهم وينسبها لنفسه، وعلى المؤسسات والهيئات الخارجية وعلى رأسها حركة الجهاد الإسلامي، ثم اتجه نحو حزب الله رافعاً شعار نصرة المقاومة، وأصدر كتاباً يمجد فيه حسن نصر الله وجنى من وراء ذلك الكثير من المال..

وقد حاول استغلال حسين إلا أنه تنبه له واعتزله واشتهر أمره في الساحة الثقافية حتى أطلق عليه المثقفون لقب التاجر..

وبالطبع هذا وأمثاله كانوا على صلة وثيقة بجهاز الأمن..

ومن النماذج التي صادقها حسين ومنحها ثقته واحد من موظفي هيئة الكتاب، كان يعمل في مجال تحقيق الكتب التراثية، وحدث أن عرض عليه صورة مخطوطة ادعى أنها نادرة، وصدقه حسين واشتراها منه وقام بتحقيقها ونشرها، إلا أنه بعد نشرها تبين له أن هذه المخطوطة معروفة وسبق نشرها..

ولم يصدر من حسين أي رد فعل تجاه صاحبه المحتال الذي تبين له أنه يقوم بسرقة المخطوطات من محل عمله، ويقوم بتصويرها وعرضها للبيع موهماً المشتري بأهمية المخطوطة وندرتها..

وفي تلك الفترة كان حسين يبحث عن مكان يختلي فيه للكتابة ولما علم صاحبه بهذا الخبر عرض عليه غرفة في مكتبه..

ووافق حسين واستأجر الغرفة منه وبدأ العمل فيها ومن خلال تواجده معه بهذا المكتب اكتشف أنه لا صلة له بالتحقيق أو الثقافة من الأصل، و أنه يقوم بسرقة جهود المحققين القدماء لبعض الكتب ويعيد تدوينها بخط يده من جديد..

واكتشف أيضاً أن المكتب ليس سوى شقة مهجورة خاصة بعائلة زوجته اتخذها وكراً يشرب فيها الخمور، ويمارس فيها الرذيلة مع الساقطات، بالإضافة إلى السطو على الكتب القديمة، وفوق هذا هو يستثمره كغطاء لنفقاته من خلال الإيجار الذي يتقاضاه منه، فقرر الرحيل من المكان مقاطعاً هذا الصديق إلى الأبد..

وتعرف حسين بعد خروجه من المعتقل في منتصف الثمانينيات على طالب من أصحاب اللحى والجلابيب، جاء من بلدته في المحلة ليدرس في الأزهراللغة العربية في أوئل الثمانينيات واستأجر غرفة صغيرة في منطقة شعبية بالجيزة..

وكانت تلك الفترة التي كان حسين وقتها داخل المعتقل تعد الفترة الذهبية في نشر وتسويق الكتب السلفية المدعومة من السعودية حيث كانت الحرب العراقية الإيرانية مشتعلة..

وانتهز هذا الطالب الفرصة وكتب رسالة صغيرة قدمها لإحدى دور النشر التي كانت تبحث عن منفذ تتفذ منه إلى السوق السعودي..

ووجدت هذه الدار في هذا الطالب ضالتها فأوكلت إليه كتابة العديد من الموضوعات التي تمكنها من تحقيق هذا الهدف..

وكان أن اعتكف في غرفته فترة طويلة ينقل من كتب ابن تيمية وابن القيم ثم خرج بمجموعة من الكتب المنقولة على رأسها كتاب أسماه فتاوى ابن القيم..

وفجأة وجد هذه الطا لب في يده آلاف الجنيهات وبعد أن كان يعيش على الفول والطعمية أصبح يأكل كباباً، واستبدل غرفته بشقة كبيرة تتكون من طابقين بسلم داخلي..

ووجد نفسه أيضاً قد أصيب بالبواسير بسبب طول جلوسه على المقعد ينقل من الكتب..

واتجه للبحث عن زوجة إلا أنه فشل مرات عديدة بسبب سفاهته..

وفي كل مرة كان يفقد آلاف الجنيهات ولا يبالي، لكنه تمكن أخيراً من الزواج من فتاة لم تمكث معه سوى عام انجبت خلالها طفلة ثم طلقت منه..

ودخل صاحبنا سوق الكتاب وأسس داراً للنشر واشترى مطبعة صغيرة..

إلا أنه مني بخسائر عديدة بعد أن عجز عن الاستمرار في عالم الكتابة والنقل من الكتب، وبعد أن تكاثر المنافسون من حوله ألمتسابقين نحو خزائن النفط..

ودخل أيضاً عالم الدعوة وأصبح خطيباً للجمعة في أحد المساجد القريبة من بيته..

وقدم له حسين بعض الكتب ليقوم بطباعتها ونشرها وذلك قبل أن يدخل عالم النشر ويؤسس داره الخاصة به..

ولم يحصل منه على الكتب ولا على نقوده..

وبعد أن دخل حسين عالم الكتاب أراد صاحبنا أن يستغل حسين فهرع نحوه طالباً بعض الكتب ليشارك بها في أحد المعارض..

وسلمه حسين ما أراد لكنه أخذ الكتب وخرج ولم يعد..

ومرت سنوات طويلة ولم يحصل منه على شئ فقطع علاقته به..

هذا على الرغم من كونه يملك رصيداً كبيراً في أحد البنوك جمعه من تجارة الكتب والقص واللصق طوال سنوات خدمته لأرباب النفط..

ومن بين النماذج الغريبة التي صاحبت حسين في بداياته واحد من مدعي التدين كان يعد نفسه من الثوريين والناس عنده جبناء، أو حسب تعبيره الذي ورثه من فترة تجنيده بالجيش «خسائر»، أي لا يصلحون لشيء..

وقد اكتشف حسين أنه لا يعمل ويعيش على السرقة بعد ما برر له تكفيره للناس وحقده عليهم مصادرة ما تصل إليه يده من أموالهم، ولما واجهه حسين بحقيقته قاطعه واعتبره من الخسائر..

وعن طريق هذه الشخصية تعرف حسين على مخبول آخر، وهو شاب من أصول تركية كان آخر العنقود والولد الوحيد على بنتين، دللته أمه كثيراً حتى فقد شخصيته وفشل فى حياته، ولم ينجح فى عمل على الرغم من كونه كان يجيد اللغة الانجليزية..

وكان والده من كبار رجال الأمن طلق والدته ذات الأصول التركية أيضاً منذ أكثر من ثلاثين عاماً وتزوج ممثلة من جيل الستينيات ثم طلقها وتزوج بفتاة صغيرة..

وقد تمكن من الحصول على شقة فى مدينة الإعلام عن طريق مذيعة تلفزيونية من أفراد العائلة ماتت فى حادثة الطائرة المصرية التى أسقطها الصهاينة فى سيناء قبيل حرب اكتوبر..

ونظراً لتفرغه وكثرة مشاغل السكان جعلوه رئيساً لمجلس إدارة العمارة..

وبمجرد تعرفه على حسين التصق به طلباً للعلم والاستفادة منه،وعرض عليه الإقامة معه فى شقته فوافق لحاجته إلى سكن لائق، إلا أنه بمجرد دخوله الشقة وجدها فى حالة فوضى كبيرة وأثاثها قديم متهالك،وتبين له أن هذا الفاشل كان يريد من يطعمه وينفق عليه ووجد فيه ضالته..

ولم يستفز هذا الوضع حسين كثيراً لكن ما استفزه فى صاحبه هو انشغاله الدائم بالنساء وولعه الشديد بهن..

ومن الغريب أنه تعرف على مدرسة مطلقة مهاجرة من السويس بعد العدوان كانت تسعى سعياً حثيثاً من أجل الانتقال للقاهرة دون جدوى..

والطريف أنه تمكن من حل مشكلتها عن طريق خاله الذى كان من كبار المسئولين فى وزارة التربية والتعليم وتم نقلها للقاهرة..

ونتيجة لهذه الخدمة أقامت معه علاقة دائمة وصلت إلى حد النوم معها فى فراش واحد..

وكانت تقيم فى الطابق العلوى من عمارته راقصة شهيرة تملك نادياً ليلياً فى وسط البلد أكثر من التردد عليها طمعاً فى امرأة ممن يرتعن حولها..

وأنعمت عليه الراقصة بإحدى فتياتها فى مقابل أن ييسر لها استغلال السطح لتقيم عليه حفلاتها الخاصة..

وكان لها ما أرادت..

وقرر حسين الرحيل من هذا السكن خاصة بعد أن تبين له أن بواب العمارة لا يظهر له الاحترام المطلوب بسبب صاحبه الذى لا ينتفع منه بشئ..

وكـان لحـسين العـديد من الأصـدقـاء الناصـريين الذين طاردتهم الحكومة طوال فترة الثمانينيات، واتهمتهم بتشكيل تنظيمات سرية لقلب نظام الحكم، وكـانوا طوال فـتـرة المطاردة والاضطهـاد أكـثـر تماسكاً وانضباطاً..

إلا أنه بعد فتح الأبواب لتكوين الأحزاب اندفع هؤلاء وغيرهم من الناصريين المختفين وشكلوا حزبًا لتنهال عليهم صور الدعم المختلفة من ليبيا وجهات أخرى..

ولم تمض فـتـرة قـصـيـرة حـتى دبت بينهم الخـلافـات وتعـددت الصدامات التي أريقت فيها الدماء ليتفتت الحزب الناصري إلى فرق وأحزاب متناحرة..

وحال الحزب الناصري هو حال جميع الأحزاب في مصر التي لا تخرج عن كونها أحزاباً ورقية لا وجود لها في الشارع، وهي ليست سوى وسيلة انتفاع واستثمار للمسئولين عنها تضمن لهم عطايا الفرعون وعطايا الخارج أيضاً..

ومن أهم هذه العطايا تأشيرات الحج التي تمنحها السفارة السعودية كل عام كرشوة للمؤسسات والأحزاب والجمعيات الدينية، والتي تعد من مصادر الدخل الرئيسية لهذه الأحزاب، إذ تقوم ببيعها لشركات السياحة التي تقوم بواسطتها بترتيب ما يسمى بالحج السياحي أو حج الخمس نجوم للأثرياء وفراعنة القوم..

وقد يصل عائد هذه التأشيرات إلى ملايين الجنيهات تكون بمثابة غنيمة لرئيس الحزب وأعوانه، وهذا قليل من كثير مما يجرى في عالم الأحزاب بمصر..

و ارتبط حسين بصداقة مع واحد من قيادات الحزب الناصري وكان محامياً ويعمل في مجال النشر وتسويق الكتاب وقد سبق له أن رشح نفسه لدخول مجلس الشعب ولم ينجح..

ولما كان حسين يعمل في نفس المجال فمن ثم تم التعاون بينهما وسلمه كمية من الكتب ليسوقها عن طريقه فباعها ولم يرد ثمنها..

واستمر حسين يطالبه بثمن هذه الكتب لسنوات طويلة دون أن يحصل منه على شيء، وتبين له فيما بعد أن هناك الكثيرين غيره من مصر ولبنان يطاردونه منذ سنوات طلباً لحقوقهم، وكلما ظفر به أحدهم ادعى الفقروالمسكنة مكثراً من الوعود بالسداد حين يأتيه المدد ويفتحها عليه رب العباد..

وحدث أن وقعت مقتلة داخل مقر الحزب الناصري بالقاهرة كان أحد ضحاياها هذا القيادي الذي لحقت به إصابات بالغة وتم طرده من الحزب إلى غير رجعة..

وهذه النماذج وغيرها التي عاصرها حسين في الواقع المصري سببت له الكآبة ودفعت به إلى ضرورة التعجيل بالرحيل من مصر..

■ ■ ■

13
كبت وغباء

أصبح حسين يعيش وحيداً بلا أسرة وبلا أصدقاء..

لم يكن أحد من هؤلاء يمكنه الصمود معه أو الصبر عليه وهو الذي يذكرهم على الدوام بعوراتهم وسلبياتهم..

الكثير منهم كانوا يهوون الحديث عن النساء والفنانين والأدب ولا يحبون الخوض في السياسة وأحوال بلدهم، فمثل هذه السيرة كانت تسبب لهم إزعاجاً وتخرجهم من حالة الغيبوبة التي اعتادوا عليها..

وحسين لم يكن يجيد هذا النوع من الأحاديث وكانت شخصيته الجادة تستفزهم كثيراً، وهذا لا يعني أنه من أهل التجهم أو من أعداء المرأة، لكنه كان يتكلم بحساب ويؤمن بأن الكلمة أمانة والكلام يعكس شخصية المتكلم..

وهذه الشخصية لم تتح له فرصة القيام بمغامرات نسائية أوالوقوع في غرام امرأة، فقط كانت له تجربة عابرة مع بنت الجيران في فترة المراهقة بالستينيات وانسحب منها بسرعة..

كان يحلم بالارتباط بامرأة غير مصرية وهو ما دفعه لتأجيل فكرة الزواج إلى أجل غير مسمى بعد أن رأى أمام عينه حال الكثير من أصدقائه السابقين ومعارفه بعد الزواج..

وهو يرى كم تحمل المرأة المصرية من العقد الناشئة من الكبت وسوء التربية والتي تفوق ما يحمل الرجل وهي على حالها من قديم لا تتغير..

وهو ما يظهر من خلال نوع الجريمة النسائية وسلوك النساء وصورة المرأة في السينما والمسرح والتلفاز المصري..

روى ابن كثير في تاريخه حوادث عام (٤٠٥هـ) أيام الحاكم بأمر الله: **وفيها منع الحاكم صاحب مصر النساء من الخروج من منازلهم، أوأن يطلعن على الأسطحة أو من الطاقات، ومنع الخفافين من عمل الخفاف لهن، ومنعهن من الخروج إلى الحمامات، وقتل خلقاً من النساء على مخالفته في ذلك، وهدم بعض الحمامات عليهن، وأكثر من الدوران بنفسه ليلاً ونهاراً في البلد في طلب ذلك، وغرق خلقاً من الرجال والنساء والصبيان ممن يطلع على فسقهم، فضاق الحال واشتد على النساء والفساق..**

والأم المصرية تربي ابنتها على الخوف من الرجال وتحرضها عليهم لتنشأ معقدة وعدوانية تجاههم، وهذا ناتج من كون الأم قد تربت بنفس الطريقة، وعندما تزوجت لم تجد من زوجها ما يدفعها لنبذ هذا التصور..

كذلك هناك عادة ختان المرأة وهي كثيراً ما تتسبب في تدني رغبتها الجنسية وربما ذهابها..

والرجل أو الأب مسئول بمعاملته السيئة للمرأة أو الزوجة ومحاولاته الدائمة لتأكيد دونيتها وتفوقه عليها، وقهره الدائم لها والأهم من ذلك فشله في التعامل معها جنسياً..

والمسألة الجنسية تعد أحد أزمات البيت المصري البارزة من قديم، وتعود أسباب هذه الأزمة إلى زيادة الضغوط المعيشية على الرجال،

واستهلاكها الجزء الأكبر من وقتهم وجهدهم، وكذلك انعدام الثقافة الجنسية بالإضافة إلى البرود الجنسي لدى المرأة..

والغريب أن الكثير من رجال الأزهر والدعاة الذين يسيطر عليهم العقل الروائي ويتعبدون به لا زالوا يرفضون تحريم الختان ويعتبرونه من سنن الرسول (ص)..

وقد رصد لنا الجبرتي **حال المرأة المصرية في عصره وتهتكها مع الفرنسيين الغزاة رجال بونابرته، واندفاع الكثير من النسوة الفواجر والجواري والأسافل ليخرجن على المألوف، وينزلن للتنزه في النيل وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة، وبصحبتهن آلات الطرب ومعهن الحشيشة ويكثرن من الهزل والمجون ويقلدن الفرنساوية في أغانيهم..**

وميوعة المرأة المصرية وتهتكها هو الذي جذب نحوها الفرنسيين ودفع بالبعض منهم إلى إشهار إسلامه كي يتسنى لهم الزواج بهن، وهو ما حدث لمينو خليفة كليبر الذي قتل على يد الطالب سليمان الحلبي الذي أشهر إسلامه وتزوج بمصرية مسلمة..

يقول الجبرتي : **إن المرأة المصرية وجدت في الفرنسيين خضوعاً وموافقة وشدة رغبة فيهن وهو ما كن يفتقدنه في رجالهن..**

ودون لنا قصة زينب البكرية ووالدها الشيخ البكري الذي أطاح بعمر مكرم من نقابة الأشراف، وتولى رئاستها بواسطة بونابرته مع كونه ليس من سلالة الرسول وإنما هو من سلالة أبي بكر..

وكانت زينب قد تمردت وخرجت عن المألوف وصاحبت الفرنسيين ورحلت معهم حين خرجوا من مصر..

وأحـدثت المرأة صـور عـارمـة من الفـوضى بـالشـارع المصـري أيام الجبرتي مما أدى إلى صدور قرار بعدم خروجهن إلى الأسواق..

وفعل القبـائح في النيل لا يزال مسـتمراً حتى اليـوم من قبل الرجال والنسـاء، في النوادي الليلية العـائمـة وفي المراكب الشراعيـة، وحتى في البيوت الخشبية الصغيرة التي يسمونها العوامات..

وهذه الظاهرة شخصها لنا نجيب محفوظ من خلال روايته: (**ثرثرة فوق النيل**) التي رصدت صورة من صور مجون المصريين وتهتكهم بعد هزيمة حزيران، وفي ظل استمرار حرب الاستنزاف، وقد تم تحويلها إلى فيلم سينمائي..

وتهـافت المرأة المصـرية على الغـرباء هو سنة ثابتـة لهـا طبقـتهـا مع المماليك والترك من قبل الفرنسيين، ومع الانجليز من بعـدهم، ثم مع بدو الخليج الذين غـزوا مصـر في فـترة السبـعينيـات، وذلك من أجل الحصول على مباهج الدنيا التي يعجز المصري عن توفيرها لها..

وكان الرجل يزوج ابنته وهو في الحقيـقـة يبيعـها للخليـجي العجوز بثـمن بخس لتـعـود له بـعـد فـتـرة قـصـيـرة مطلقـة بعـد أن فـعلت بهـا الأفاعيل..

واليوم تـأزمت العلاقة أكثر بين الرجل والمرأة بسبب ازدياد الضغوط المعيشية التي جعلت الزواج أشد صعوبة، في الوقت الذي أصبحت فيه المرأة سهلة المنال بالنسبة لغير المصريين من الوافدين الأحسن حالاً..

وهذا مـا أدى بالمصـري صـاحب النفس القصـيـر والصبـر القليل إلى ارتكاب جريمة الاغتصاب التي انتشرت في مصـر مؤخراً، وأصبحت الحـالات التي يعلن عنهـا هي أقل بكثير من الحـالات التي لا يتم الإبلاغ عنها..

وتطور الأمر أكثر حتى وصل إلى اغتصاب الأطفال والقاصرات، وتطور أكثر وأكثر ليصل إلى الزنا بالمحارم..

وهناك حادثة مشهورة شغلت الرأي العام المصري مؤخراً وهي اكتشاف رب أسرة أن ابنته التي في العاشرة من عمرها ظهرت عليها آثار الحمل..

والغريب هو الانشغال بالطفلة الحامل باعتبارها حادثة فريدة أكثر من انشغالهم بالمجرم الذي اعتدى عليها..

والمرأة المصرية تمضي تتراقص في الطريق العام وسط جموع من الجوعى والمحرومين لتزيد نارهم اشتعالاً تلك النار التي تمتد لتصيبها هى أيضاً..

وكان حسين قد أصدر كتاباً تحت عنوان : **زواج المتعة حلال** وأنه يمثل زواج ضرورة يصلح حلاً اجتماعياً لمشاكل الكثير من الرجال والنساء ويخفف من انتشار الرذيلة..

وتحمل في سبيل رأيه هذا الكثير من المتاعب بعد أن صدور الكتاب وأصدرت دار الإفتاء حكمها بحرمة نكاح المتعة متهمة إياه بالزندقة والدعوة لنشر الفاحشة..

واستمر حسين على موقفه وأعلن تحديه للجميع بتهذيب كتاب (**رجوع الشيخ إلى صباه في القدرة على الباه**) وإعداده للنشر وهو كتاب محظور تداوله منذ عقود طويلة باعتباره من الكتب الإباحية..

كان حسين يعتقد بأهمية نشر الثقافة الجنسية ويعتبر أن حظر مثل هذا الكتاب يعد أمراً مخالفاً للعقل والشرع، ويعكس حالة ضيق الأفق وسيادة عقل الماضي التي تهيمن على الشخصية المصرية، مؤكداً أهمية هذه الثقافة بالنسبة للأزواج والزوجات..

ومن المبادئ التي كان يتمسك بها حسين عدم حضور الأفراح وكذلك المآتم فقد كان يرى في هذه المناسبات مالا يسره من سلوكيات وممارسات تدل على نفاق المصريين وتلونهم..

كان يرى في الأفراح مناسبة لإظهار ميل المصريين للهو والخروج عن الوقار ويرى في المآتم صورة من صور النفاق الاجتماعي..

والمآتم في مصر ترتبط بمكانة المتوفى فإذا كان من الأثرياء وعلية القوم كان مأتمه ضخماً وفخماً، وهو عبارة عن سرادق يحتل مساحة كبيرة من الطريق العام ويقرأ فيه القرآن مشاهير القراء، ويا حبذا لو كان في جامع عمر مكرم على النيل حيث يقيم الكبراء والفنانين عزاءاتهم..

أما إذا كان الراحل من الفقراء فمأتمه غالباً ما يكون في بيته أو في دار من دور المناسبات المنتشرة في الأحياء الشعبية التابعة للجمعيات الخيرية..

■■■

14
أوهام الفاشلين

قرر حسين بعد تجاربه الطويلة في الواقع المصري إعادة قراءة كل المقولات التي التصقت بمصر مثل:

مصر أم الدنيا..

ومصر المحروسة..

وكذلك مراجعة ما ذكر عنها **في القرآن وفي الروايات..**

هذه المقولات هى التي أسست لثقافة الشعارات التي ضللت النخبة عن الحقيقة وحالت بينهم وبين فهم تأريخ مصر وواقعها..

اعتبر حسين أن مقولة مصر أم الدنيا فيها قدر كبير من التضليل إذ يوحي ظاهرها أن مصر مهد الحضارات والمدنية، وكل الحضارات قد تولدت منها، وهو غير صحيح، والتاريخ يكذب مثل هذا الادعاء، فبلاد الرافدين أقيمت بها حضارات سبقت الحضارة المصرية بقرون طويلة..

وكذلك بلاد الشام وكلا المنطقتين كانتا مركز حركة الأنبياء والرسالات عبر التاريخ، أما مصر فلم تكن يوماً مهداً لأي رسالة سماوية أو مركزاً لها..

وظهور يوسف ومن بعده موسى في مصر الفرعونية كانت له أهداف أخرى سوف نستعرضها لاحقاً..

ومن جانب آخر اعتبر حسين أن مقولة أم الدنيا فيها إهانة كبيرة لمصر إذ أن الأمومة تفرض وجود الأبوة، وإذا كانت مصر أم الدنيا فمن هو أبوها وهل وجدت هذه الدنيا بلا أب..؟

أما مصر المحروسة فهو شعار اخترعه المماليك بعد انتصارهم على التتار في وقعة عين جالوت..

إلا أن المماليك سقطوا فيما بعد على يد الأتراك العثمانيين الذين غزوا مصر واستولوا عليها لقرون طويلة، ثم جاء نابليون فغزا مصر ودخل بخيله الأزهر وغزاها الانجليز من بعدهم، وانجلترا وفرنسا وإسرائيل في عام ١٩٥٦م و إسرائيل عام ١٩٦٧م..

ومن قبل المماليك أصحاب هذا الشعار غزا مصر الهكسوس والفرس والروم والعرب والأكراد ومن بعدهم ومصر يتم غزوها واستعمارها من قبل شعوب الأرض..

فكيف يمكن الادعاء بأن مصر من دون بقية دول العالم محروسة..؟

وما الذي يميزها حتى تكون محروسة من دونها..؟

أما ما يتعلق بذكر مصر في القرآن فالمستعرض لقصة النبي يوسف في مصر كما جاءت في القرآن يخرج بنتائج تدين مصر والمصريين في تلك الفترة..

جاء يوسف إلى مصر صغيراً بعد أن اشتراه عزيز مصر ليصبح مملوكاً له، وما أن دخل بيته حتى فتنت به زوجته وأرادته لنفسها فأبى، فتآمرت عليه وأدخلته السجن الذي قضى فيه بضع سنين من عمره، وهذا يشير إلى فساد نسوة مصر في ذلك الزمان وفساد العائلة الحاكمة أيضاً..

ويشير من جانب آخر إلى أن السجون سنة مصرية قديمة يتم تطبيقها على الشرفاء والمستضعفين دائماً، الأمر الذي يؤكده واقع مصر اليوم الذي يكتظ بالسجون والمعتقلات التي لا يعرف عددها..

ولعل هذا هو سبب المثل الشائع على ألسنة المصريين الذي يقول: **ياما في الحبس مظاليم..**

وبعد وضع يوسف في السجن حدث أن رأى الملك رؤيا في منامه لم يستطع أحد من حاشيته تأويلها، بل قللوا من شأنها وصوروها له على أنها أضغاث أحلام ليعرض عنها..

ولولا انتباه الساقي الذي كان رفيق يوسف في السجن وطلبه من الملك إرساله إليه ليفسر له الرؤيا لضاعت مصر وأكلتها المجاعة..

وفسر يوسف الرؤيا على أن هناك أزمة قادمة سوف تأكل الأخضر واليابس..

وحاز على إعجاب الملك وتقديره فطلب إحضاره وعرض عليه أن يتولى إدارة البلاد لمواجهة الأزمة القادمة، وهذا يعني فقده الثقة فيمن حوله من المعاونين والمستشارين وعدم كفاءتهم..

واشترط يوسف أولاً أن يبرأ من التهمة التي ألصقتها به امرأة العزيز ودخل السجن بسببها..

ولبى الملك طلبه واعترفت المرأة وظهرت براءته ليحكم مصر وينقذها من المجاعة..

وجاء بأبيه يعقوب وإخوته من الشام وكانت تلك هي بداية بني إسرائيل في مصر إلا أن القرآن لم يشر إلى دور ليوسف في مجال الدين والرسالة..

ومـا يمكن قـولـه هنا هو أنه لولا وصـول يوسف إلى مـصـر لأصـابهـا خـراب عـظيم، وهذه نقطة سلبيـة خطيـرة فـي تاريخ مـصـر تؤكد فـشل الأبناء ونجاح الغرباء دائماً فيها..

وهو ما يجيب لنا على السؤال التالي: لماذا حكمت مصر على الدوام بقيادات خارجية..؟

ولماذا تركت هذه القيادات بصمة بارزة فيها..؟

وليس هناك مـا يشيـر إلى استـمـرار يوسف بمصر وبقـاءه فـيهـا هو وأبيـه يعـقـوب، لكن القـرآن أشـار إلى أن المصـريين انقلبـوا على بني إسـرائيل قـوم يوسـف الذين بقـوا في مـصـر فـيـمـا بعـد، وبطشـوا بهم وعـذبوهم واسـتـحيـوا نسـائهم وقـتلوا أطفـالهم، وهـي إشـارة إلـى كـفـر المصريين آنذاك بدين يوسف الذي هو دين يعقوب وملة أبيهم إبراهيم..

وبعث الله مـوسى إلى فـرعـون حـاكم مـصـر وقـتها ليطلب منه إطلاق بني إسرائيل ليأخذهم ويرحل بهم من مصر..

ورفض فـرعـون طلب مـوسى وتحـدى الله الذي أرسله رافضـاً جـميع الآيات والبراهين التي قدمها له..

وأصبح فرعـون مصر الحاكم الوحيد في التـاريخ البشري الذي ادعـى الألوهية والربوبية وتحدى الله جهاراً نهاراً..

هذا كله رغـم كون مـوسى لم يأت لدعـوته أو لدعـوة المصـريين لدين الله، بل جاء يطلب منه التـوقف عن إيذاء بنـي إسـرائيل، وتسليـمـهم له ليخرج بهم من مصر، ولم يعجب فـرعون المتأله المستكبر في الأرض هذا الطلب بل استخف بموسى وقومه..

وما كان فرعون ليفعل ذلك لولا يقينه التام بعدم وجود رد فعل من قبل المصريين وهو ما يؤكد استخفافه بهم كما أشار القرآن بقوله: ﴿**فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾..

والاستخفاف بالمصريين من قبل حكامهم هو سنة دائمة عبر التاريخ وذلك لكون لديهم القابلية للاستخفاف نتيجة الميل للشهوات وهو ما عبر عنه القرآن بالفسق..

والمتأمل في سياسة عبد الناصر على مستوى العصر الحديث يجد هذه الصورة بوضوح فقد استخف بالمصريين بشعاراته الزائفة وأكاذيبه المضللة..

وليس هناك استخفاف أكبر من أن يعلن عن وجود صواريخ أسماها القاهر والظافر يهدد بها إسرائيل ثم يتبين فيما بعد أنها صواريخ ورقية (**كرتونية**)..

وليس هناك أسوأ من البيانات الكاذبة التي كان يصدرها أثناء حرب حزيران بينما كان الجيش الإسرائيلي يتقدم نحو القاهرة..

وكان السادات مستخفاً به من قبل عبد الناصر ورجاله، وكانوا إذا أرادوا الضحك والمسامرة يأتون به ليضحكوا عليه، إلا أنه تمكن من الضحك على الجميع ليحكم مصر من بعده ويمارس سياسة الاستخفاف بالمصريين..

والفرعون الثالث كان مستخفاً به أيضاً من قبل السادات وأعوانه ورغم ذلك حكم مصر، وأفسح له فساقها الطريق كي ينتفعوا منه على حساب مصر والمصريين..

والاستخفاف في مصر لا يمارسه الحاكم فقط بل يمارسه المصريون أيضاً على بعضهم..

وهناك الكثير من المحتالين في مصر الذين يبرزون مع الأزمات ليستخفوا بالشعب ويبتزوا أمواله كما هو حال المعونات الخارجية التي تنهب دون حساب..

ويوم أن اختفى الزيت من الأسواق ظهر العديد من الباعة في الطرقات يعرضون صناديق معبأة بزجاجات الزيت بسعر رخيص، فتزاحم عليهم المارة وأخذوا كل ما معهم، ولما عادوا إلى بيوتهم وفتحوا زجاجات الزيت وجدوها معبأة بماء الحُلبة الذي يشبه لونه لون الزيت..

وحين حدثت أزمة الخبز والدقيق ظهر العديد من الباعة يبيعون أجولة من الدقيق في القرى فتزاحم عليهم الأهالي والسعيد من حصل على جوال انطلق به نحو أهله مسروراً..

إلا أنه تبين لهم بعد فتح هذه الجوالات أنها معبأة بمادة الجير الأبيض الذي يستخدم في طلاء الأبنية..

ومن صور استخفاف المصريين ببعضهم تلك البرامج الخاصة بالأطعمة والمأكولات المنتشرة في القنوات التلفزيونية، والتي تعرض لأطعمة فاخرة ومكلفة لا يقدر عليها إلا الفراعنة والكبراء في ظل مجتمع مقبل على مجاعة..

ومن قلة حيلة المصريين وسذاجتهم التي تدفع بالآخرين من ذوي المكر والدهاء إلى الاستخفاف بهم، أنهم لا زالوا يلجأون حتى اليوم إلى الدجالين والمشعوذين من أجل حل مشاكلهم..

وليس هناك صورة من صور استخفاف المصريين ببعضهم أكثر من بيع لحم الحمير في الأسواق وذبح القطط والكلاب واستخدام لحومها في صنع الكفتة والكباب..

وما هو أدهي وأمر هو وقوع البعض مؤخراً ضحايا لمحتال أوهمهم بقدرته على تحويل الحديد إلى ذهب والأوراق العادية إلى دولارات عن طريق استخدام الزئبق الأحمر..

ووصل الاستخفاف عند المصريين إلى اللغة التي يتحدثون بها والتي أخذوا يتهكمون عليها ويخترعوا كلمات وعبارات لا معنى لها حشو بها لغتهم وطرحوها في أغانيهم وأفلامهم..

ونعود إلى قصة موسى لنرى تحدى فرعون لموسى بالسحرة في احتفال يوم الزينة كما جاء في القرآن..

واحتشد المصريون لمشاهدة هذا الحدث واستخدم السحرة حيلهم التي بهروا بها الجميع..

وألقى موسى بعصاته التي تحولت إلى حية عظيمة أكلت ما صنع السحرة، الذين أيقنوا أن ما شاهدوه ليس سحراً، وإنما هو معجزة تدل على صدق موسى فأعلنوا إيمانهم بإله موسى..

وغضب فرعون غضباً عظيماً لإيمان السحرة دون أن يأذن لهم وكأن الإيمان بالله يحتاج إلى استئذان منه، لكن هذه هي سنة فراعنة مصر الدائمة التي لا ترى إلا ما يرى الفرعون..

وأصدر فرعون قراره بصلب السحرة على جزوع النخل، لكن المصريين لم يتأثروا بمعجزة موسى كما تأثر السحرة، واستمروا على موقفهم المناصر لفرعون، وكما شاهدوا ألاعيب السحرة شاهدوا إعدامهم أيضاً، وهو شأنهم على الدوام المشاهدة والعيش على هامش التاريخ، والتصفيق للمطربين ولاعبي الكرة والمهرجين ولكل حكومة، وترك التاريخ ليصنعه غيرهم، بينما هم اكتفوا باللهو واللعب والانغماس في الشهوات..

وذكر القرآن أن موسى رحل ببني إسرائيل سراً واتجه بهم نحو المشرق، ولما علم فرعون بالأمر قرر مطاردتهم، ولحق بهم عند البحر الذي عبره موسى وقومه بمعجزة..

واندفع فرعون وقومه بحمق وراء موسى دون تردد فغرقوا جميعاً فيه..

والسؤال هنا هو كيف يطيع المصريون فرعون إلى هذا الحد..؟

كيف يطيعوه في كفره بالله وتحديه له..؟

وكيف يطيعوه إلى الحد الذي ينتحرون معه في البحر..؟

والجواب يكشفه لنا حالهم مع عبد الناصر وتسليم أنفسهم له حتى قادهم إلى الجوع والحرمان، بعد أن بدد ثروة مصر في مغامرات سياسية فاشلة..

وهو ما قادهم إلى الانتفاضة من أجل إعادته للحكم مرة أخرى حين قرر التنحي بعد هزيمته عام ٦٧..

وما دفعهم إلى تسليم أنفسهم للسادات من بعده حين رفع شعار الانفتاح والرخاء والسلام وما زادهم إلا جوعاً وشتاتاً في بلاد العالم..

وفى عهد الفرعون المخلوع قتل المواطنين في طوابير الخبز و في مراكز الشرطة..

وقتل العقلاء والنابهين في السجون والمعتقلات ويغرق الفارين منهم أمام شواطئ أوربا و لكي يعيش المصري لابد له أن يسرق أو يشحذ..

والغريب أن القرآن جعل حكام مصر سنة دائمة للطغيان والفساد والدعوة إلي الضلال يقودون شعبهم إلي الضياع في الدنيا والآخرة..

وهو ما يتضح من خلال نص القرآن: ﴿**وجعلناهم أئمة يدعون إلي النار ويوم القيامة لا ينصرون**﴾..

وفوق هذا أنزل الله لعنته الدائمة عليهم في الحياة الدنيا وجعلهم من أقبح الحكام الذين سوف يعرضون عليه يوم القيامة..

وهو ما يجسمه لنا النص القرآني: ﴿**وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين**﴾..

وهذا النص يؤكد المقولة التي تجري على لسان المصريين حتى اليوم وهي **لعنة الفراعنة**..

وأقصى ما يمكن أن يفعله المصريون في مواجهة حكامهم هو إطلاق النكات التي تعريهم تلك النكات التي تكشف وعيهم التام بحقيقتهم وما يفعلونه بمصروبهم..

وهناك نكتة أطلقوها على عبد الناصر والسادات ومبارك مجتمعين تكشف موقفهم منهم ونتائج سياساتهم عليهم..

تقول النكتة: **واحد وكلنا المش وواحد علمنا الغش وواحد لا بيهش ولا بينش..**

والمش هو ماء الجبن القديم الذي كان يخزنه الفلاح المصري في بيته وكان الغذاء الرئيس له طوال العام، وقد استمر يأكله في عصر عبد الناصر أيضاً، وهو كناية عن الجوع والحرمان الذي عاشه المصريون أيامه..

أما معلم الغش فيقصد به السادات الذي فتح الأبواب على مصارعها للسرقة والنهب، وفي عصره برزت الطبقات الرأسمالية بقوة على حساب الطبقات المتوسطة والمسحوقة، وغش المصريين حين رفع شعار الرخاء ولم يحقق منه شيئاً..

والذي لا يهش ولا ينش يقصد به مبارك والمقصود عدم فائدته وجدواه وهو إشارة إلى الاستخفاف به..

والنكتة السياسية هي سلاح المصريين في مواجهة الحاكم الذي يبررون به إنهزامهم أمامه وخوفهم منه..

والروايات التى أشارت إلى مصر، سواء التى جاءت بالذم أو التى جاءت بالمدح هى فى حكم الموضوعات..

وهذه الرؤية التاريخية لمصر التي يدعمها القرآن فسرت لحسين الكثير من صور الاعوجاج في الشخصية المصرية، ودفعت به إلى البحث في مسألة الأصول التي يتباهى بها المصريون رغم سلوكهم الذي يتناقض مع هذا الادعاء..

وتبين له أن مسألة الأصول عند المصريين تعني شيئاً آخر وهو الالتصاق بالكبراء من علية القوم، فعندما يقال أن هذا ابن أصول أو هؤلاء أولاد أصول، فإن هذا يعني أنهم أولاد بشوات والبشوات بالطبع أغنياء وهو ما يعني ربط الأصل بالثراء..

والبشوات هؤلاء منهم من كان تركياً ومنهم من كان من سلالة محمد علي ومنهم من كان مصرياً، وقد استعبدوا المصريين وألهبوا ظهورهم بسياطهم، ورغم ذلك اتخذوهم قدوة ومثلاً وتهافتوا على الالتصاق بهم..

والبشاوية لقب كان يباع في العصر الملكي وينعم به الملك وحاشيته كل عام على من يدفع أكثر..

وظاهرة البشوات لم تنته من مصر وهو ما بظهر من ميل المصري إلى جعل كل كبير وصاحب نفوذ وثراء باشا..

وعبد الناصر الذي حطم طبقة البشوات والبكوات القدامى سرعان ما برزت على يديه طبقة من الباشوات الجدد من الضباط لتحل محلهم..

من هنا أطلق المصريون لقب باشا على أي ضابط كبير أما الصغير فيطلقون عليه لقب بيه..

ولا يزال لقب باشا وبيه يطلق على ضباط الشرطة حتى اليوم ويستخدمه الضباط فيما بينهم ويطلقه العامة عليهم..

والويل كل الويل إذا قدر لك ووقفت أمام ضابط شرطة ولم تنعم عليه بلقب باشا فإنه يخسف بك أسفل سافلين وتوضع في قائمة المجرمين وتصبح من المقبوحين..

وهذه هي الضريبة التي يدفعها كل من بعيش في ظل مجتمع لا يرفع إلا الفراعنة وأشياعهم..

و التصور المختل عن الأصول الذي يتبناه المصريون ناتج من حالة الفقر والحرمان التي يعيشونها والتي جعلت المال في نظرهم هو دليل على الأصل..

وقد أعماهم هذا التصور عن حقيقة مصدر هذا المال الذي هو في الأغلب مصدر مشبوه، لكون الغنى في مصر لا يتم إلا بوسائل غير شرعية، وهو ما تؤكده وقائع التاريخ أن الفراعنة لا يفسحون الطريق نحو الغنى إلا لمن هو على شاكلتهم ويسير على دربهم ويخدم مصالحهم..

وما يؤكده أيضاً واقع مصر المعاصر الذي فتح الأبواب على مصارعها لتجار المخدرات وتجار الأعراض واللصوص وكبار الفراعنة وصغارهم نحو الثراء على حساب الكادحين والمسحوقين..

والبعض من المصريين تنكروا لأصولهم الفقيرة وحاولوا التجمل بأسماء الترك الذين كانوا يمثلون الطبقات العليا في العصر الملكي أو أولاد الأصول في منظورهم..

وأصبحوا يسمون أولادهم باسم مدحت وشوكت ورفعت وخورشيد..

ويسمون بناتهم باسم شاهيناز وباكينام و وسوزان وشيرين وجيهان ودولت وغيرها من الأسماء التي كانت محصورة في دائرة الكبراء في العصر الملكي..

وتحول اسم عائشة إلى شوشو ورقية الى ريري وزينب الى زيزي ومحمد إلى ميمي ويوسف إلى سوسو وعبد العزيز إلى زيزو وعبد الحميد إلى ميدو وهكذا..

واسم عائشة قليل الانتشار بين المصريين وينحصر في دائرة الطبقات الفقيرة والمسحوقة ويتفوق عليه اسم فاطمة الأكثر انتشاراً بينهم..

ومن الأسماء المنتشرة بين المصريين التي لفتت نظر حسين اسم سيد الذي يطلق على الرجل، وسيدة الذي يطلق على المرأة وهو اسم تستخدمه الطبقات المسحوقة غالباً من أجل التباهي والتفاخر..

ومصر هي البلد الوحيد التي تتداول هذا الاسم الذي يعد صفة في عالم الأديان التصقت بالأنبياء وتستخدم كصفة تبجيل للرؤساء والكبراء في البلاد الأخرى..

ومن الغرائب التي لم يجد لها حسين تفسيراً أن كل من تسمى باسم سيد من المصريين هو في الحقيقة سئ، وقد لمس هذه الظاهرة من خلال تعامله مع العشرات ممن يحملون هذا الاسم من معارفه وأصدقائه..

والتـرك الذيـن كـان يتـمـسـح بهم المصـريون لا صلة لهم بالأنسـاب والأصول، فهم ليسوا سوى قبـائل همجيـة استمدت قيـمتهـا من الإسـلام واسـتـثـمـرته في التوسع، واسـتولت علـى مصـر الـتي كـانت تحت سيطرة المـماليك العبـيد، ليتـحـول فيهـا التـرك إلى سـادة كما تحـول غيـرهم من الغزاة السابقين واللاحقين..

■■■

15
الإحباط

تبين لحسين من بعد ذلك كله أنه لا أمل في تغيير مصر واقتنع بأن الأزمة في مصر هي أزمة شعب وليست أزمة حكم..

وقد توصل لهذه النتيجة من خلال مواقف المصريين وسلوكياتهم ومن خلال انهزام الشخصية المصرية عبر التاريخ، ذلك الانهزام الذي أتاح للأجنبي أن يطمع في مصر ويستعمرها ويستعبد شعبها..

وأتاح للغريب أن ينتج فيها ويعلو بينما اكتفى المصري بأن يفلح الأرض ويعتكف بجوار النيل..

الأمر الذي جعل الغزاة والغرباء يستخفون به ولا يضعون له حسابا، بل تجاوزوا هذا الحد واستعبدوه وألهبوا ظهره بسياطهم، كما فعل به المماليك والأتراك والألبان والانجليز والباشوات وغيرهم من الفراعين..

وهو ما دفع بالمصري إلى ابتداع مثل يقول: **زي كرابيج الحاكم اللي يفوتك أحسن من اللي يحصلك..**

فهو قد اعتاد على هذه الكرابيج (السياط) ومن كثرتها جعل تجنبها من الذكاء وحسن الحيلة..

وابتدع المصري الكثير من الأمثال التي توطنت في الوجدان الشعبي وبررت موقفه الانهزامي من الحاكم واستسلامه للذل والاستعباد منها:

اتوصوا علينا يلي حكمتوا جديد إحنا عبيدكم وانتو علينا سيد..

اللي يجوز أمي أقوله ياعمي..

سيف السلطنة طويل..

ضرب الحاكم شرف..

آخر خدمة الغز علقه..

والمثل الأخير يعكس لنا طبيعة المصري المتفاني في خدمة الغزاة ثم في النهاية لا ينال سوى الضرب والإهانة..

ومثل هذه الأمثال هي التي جعلت حكام مصر يستخفون بالمصريين ويحتقرونهم، حتى أن الفراعنة القدامى كانوا يدفنون مع الموتى من الملوك والكبراء ذهبهم ونفائسهم، ويحرمون منها الشعب الذي يتضور جوعاً..

وتذكر حسين وهو يرصد هذه الحالة قصة الشاويش الذي كان يحرسه وهو في طريقه لجهاز المدعي الاشتراكي الذي كان يحقق معه في فترة التحفظ قبل أن يتم حله مؤخراً..

همس الشاويش في أذنه قائلاً: **أنتو مالكو ومال الحكومة دي البلد اللي بتعبد العجل حش وارميله..**

كان هذا الحارس يتعجب من موقف حسين الشاذ في ظل بلد يعبد العجل من قديم الزمان والجميع يسهم في إطعامه..

وكان محمد علي يُكره المصريين على دخول الجيش والعمل في المصانع فيفرون منه، ويضطر بعضهم إلى إلحاق الأذى بنفسه كقطع إصبعه أوفقأ عينه، حتى لا يدخل الجيش ويلزم بالأعمال الشاقة..

وكذلك فعل معهم حفيده الخديوي إسماعيل حين قرر حفر قناة السويس وجلبهم بالقوة من كل مكان، واضطر إلى وضع حراسات مشددة عليهم كي لا يفروا من العمل..

وعلى الرغم من هذا الإنجاز الضخم الذي حققه الخديوي إسماعيل والدخل الكبير الذي يتحقق من وراء القناة، لم يحظ بأي تقدير أو احترام من قبل عبد الناصر وضباط يوليو، بل أنزلت عليه اللعنات وشوهت صورته، واتهم بقتل الآلاف من العمال أثناء الحفر، وهو كلام لازال يردده البعض في مصر اليوم..

ولم يتبادر إلى ذهن أحد أن يسأل كم قتل عبد الناصر وضباطه من المصريين في حروبهم الفاشلة..؟

وكم قتل الفراعنة من المصريين الذين سخروهم لبناء أهراماتهم ونحت تماثيلهم..؟

وإذا كان المثقف المصري يقر بأن محمد علي هو باني مصر الحديثة إلا أنه لم يسأل نفسه: كيف تمكن من بناء مصر..؟

وهل استفاد المصريون من تجربة محمد علي..؟

ولماذا أقيمت الأنشطة الاقتصادية الكبرى في مصر على يد الأجانب مثل بنزايون وشيكوريل وهانو وصيدناوي وجروبي وغيرهم

ولماذا كان أصحاب البصمة الثقافية فيها من الوافدين..؟

وكيف أحدث الأفغاني انقلاباً في الذهنية المصرية الجامدة..؟

وأسس سليم وبشارة تقلا جريدة الأهرام..

وجورجي زيدان دار الهلال..

وفاطمة اليوسف مجلة روز اليوسف..

وجميع هؤلاء من الشوام..

ولماذا العائلات والرموز الكبرى في عالم الفكر والأدب كانت أصولها غير مصرية مثل العائلة التيمورية والعائلة الإباظية التركية الأصل وعائلة البستاني الشامية الأصل..؟

وأحمد شوقي التركي الأصل..

والعقاد الكردي الأصل..

ومي زيادة الشامية الأصل..

وآل تيمورأصحاب الأصل الكردي..

وغير هؤلاء كثير..

وكأن المصريين لم يفلحوا سوى في كثرة الكلام ودق الطبول ونفخ المزمار والرقص والنواح..

وقد أبدعوا في هذا المجال إبداعاً منقطع النظير وهو ما يترجم ظاهرة الميل للشهوات عندهم تلك الظاهرة التي استغلها الحكام ودعموها لإلهائهم وتخديرهم..

وهو ما يدفع بمنتجي السينما إلى حشو أفلامهم بالراقصات العاريات لجذب المشاهدين، وتركيز عدسة المصور على صدر الراقصة ومؤخرتها وأفخاذها المكشوفة..

واليوم في عصر الإنفتاح تم استيراد الراقصات الروس وحشو الأفلام والمسرحيات والنوادي الليلية بهن..

وليس ذلك بسبب طبيعة الميل للشهوات فقط وإنما لكون الرقص والغناء والكرة طريق سريع نحو العز أو الثراء..

وهناك حادثة مشهورة شغلت الرأي العام المصري منذ فترة تتعلق بأحد طلاب جامعة الأزهر ويدعى سيد..

وكان هذا الطالب قد أحس ببعض التغيرات النفسية والجسدية وأنه يندفع دائماً إلى تقليد الإناث، ولما عرض على الأطباء كانت المفاجأة هى أن هذا الشاب يحمل كل مقومات الأنثى، فأجريت له عملية جراحية تم تحويله من خلالها إلى أنثى سمت نفسها **سالي**..

إلا أن هذا ليس هو الغريب في الأمر إنما الغريب فيه هو أن سالي تحولت إلى راقصة احترفت الرقص في النوادي الليلية..

وتوقف حسين كثيراً أمام ظاهرة توافد الأرمن والطليان واليونان والشوام وغيرهم إلى مصر في القرون السابقة، من أجل إقامة الخمارات والمراقص وبيوت الدعارة، ونشر صور اللهو والمجون وسط المصريين وقبول المصريين لهؤلاء وتعايشهم معهم..

والسؤال الذي فرض نفسه عليه هو: لماذا اختار هؤلاء مصر من دون بقاع الأرض لتكون موطناً لهم ومركزاً لنشاطاتهم الفاسدة..؟

وتوصل إلى أن الإجابة تتركز في أن هؤلاء الوافدين قد فهموا تركيبة المجتمع المصري وطبيعة الشخصية المصرية..

فهموا أن مصر تحتضن الغريب..

وفهموا أن المصري يميل إلى الشهوات..

ومن هؤلاء تعلم المصريون الغناء والرقص والتمثيل وبرعوا فيه، وكثر عدد الراقصات في مصر بصورة ملفتة، حتى أن الراصد لا يستطيع أن يحصي عددهم، وأصبح الرقص ثقافة وليس مهنة مما أدى إلى امتهانها من قبل الرجال أيضاً..

وتحولت أماكن الغناء والرقص والخمارات والنوادي لليلية إلى مصيدة للمغفلين والأثرياء وابتزاز أموالهم من قبل الراقصات ونساء الليل..

وفي دائرة الخمارات والنوادي الليلية نشأت طائفة الفتوات من المجرمين والعاطلين الذين كانوا يستغلون قوتهم ليرهبوا أصحابها، والنساء العاملات فيها ويبتزونهم بدعوى حمايتهم من بطش الآخرين،

وقد رصدت السينما المصرية هذه الظواهر من خلال العديد من الأفلام..

ومن الطريف أن البرلمان المصري أصدر قرارا في عام (١٩٤٨م) بإلغاء الدعارة التي كانت مشروعة وقانونية طوال الفترات السابقة، فما كان من أصحاب بيوت الدعارة إلا أنهم قاموا بتحويل هذه البيوت إلى نوادي ليلية..

والغريب أنه في الفترة الناصرية دعمت النوادي الليلية والخمارات وصور اللهو الأخرى سيراً مع سياسة الفراعنة السابقين..

وأدى تذويب الفوارق بين الطبقات إلى توسيع رقعة هذه الأنشطة على يد الطبقات الدنيا، التي فتحت أمامها الأبواب على مصارعها لتتحول إلى نجوم في المجتمع المصري..

ووصل حسين إلى قاعدة تقول أن المصريين يصنعون فراعنتهم بأيديهم ثم يلعنوهم ويتمنوا زوالهم..

وهم الذين صنعوا فتوات الحارات الذين استعبدوهم وأراقوا دمائهم وابتزوا أموالهم..

وصنعوا من المغنين والمهرجين السفهاء سادة وكبراء..

وصنعوا من رجال الأمن آلهة تفعل بهم ما تشاء..

وصنعوا الفرعون المخلوع الذي ما كان يحلم أن يحكم مصر وكان أقصى ما يتمناه أن يكون سفيراً لها بالخارج، وأصبح يتصرف في مصر كما يشاء هو وزوجته وأولاده، بينما اكتفى المصريون بلعنه والدعاء عليه..

وهم بلامبالاتهم فتحوا الأبواب على مصارعها لشعوب الأرض كي تستعمرهم وتستنزف ثرواتهم وتفسق على أرضهم..

واليوم يحلمون بالعمل في ظل الشركات والمشروعات الاستثمارية الأجنبية المنتشرة في مصر أو الفرار منها إلى أوربا..

كان حسين يطرح على نفسه السؤال التالي: هل مصر فقيرة..؟

وإذا كانت فقيرة فلماذا تهافت عليها المستعمرون..؟

ولماذا لا تزال باقية على الخارطة..؟

وهذه التساؤلات هي التي لفتت نظر حسين إلى حجم الثروات التي تكتظ بها مصر من معادن ونفط وغاز وأراض ومياه وبشر، وهي ثروات يكفي أقلها لأي بلد كي ينهض ويعيش شعبه في سعة ورخاء، بل إن هناك العديد من الدول نهضت بدون وجود هذه المقومات..

والأهم من ذلك هو مناجم الذهب التي تم اكتشافها منذ عقود..

وقناة السويس التي تدر ملايين الدولارات سنوياً والتي لا يسأل أحد أين يذهب دخلها.؟

وأين يذهب دخل النفط..؟

وأين ذهب مصر..؟

وأين ذهب الفراعنة الذي يكتشف كل حين في قبورهم..؟

بل أين مجوهرات أسرة محمد علي التي صادرها الضباط من العائلة الملكية السابقة، وهي كمية كبيرة من الماس والمجوهرات ملأت(٢٧) صندوقاً كان يكفي نصفها لسداد الديون التي تراكمت على مصر بسبب سياسة الفراعين الثلاثة الفاشلة..؟

وكيف لبلد تتوافر به كل هذه الإمكانيات ويعيش شعبه هذه الحياة البائسة ويعاني الفقر والحرمان..؟

كيف تتوافر كل هذه الشواطئ والبحيرات والأنهار، والأسماك ليست في متناول الجميع..؟

ومياه الشرب ملوثة..؟

ورغيف العيش يصنع من القمح المستورد..؟

وإذا ما حدث و تخلفت سفن القمح عن المجئ فإن الرغيف يختفي من الأسواق وتحدث مجاعة كما حدث مؤخراً..؟

ومصر بكاملها تعيش على المعونات وكل مصري أصبح مديوناً للخارج دون أن يدري..

كان حسين يطرح على نفسه هذا التساؤلات دائماً ويجد الجواب عليها ينحصر في الشعب والحكام والنخبة الثقافية..

الشعب الذي قبل أن يعيش على الفتات ولا يبالي بالنهب والسلب لثروات وطنه..

والفراعنة الحاكمين من الداخل والخارج الناهبين لثروات مصر..

والنخبة التي تعيش بثقافة الشعارات أقصى ما يمكنها فعله هو إطلاق النكات أو توجيه النقد لمخالفيها، أو التأسف على حال مصر والتغني بأمجادها وترديد القصائد العامية التي تبرر انهزاميتهم وتخدر عقولهم مثل قولهم:

يا بلدنا يا عجيبة

فيكي حاجه محيراني

تزرع القرع في سنين

تطلع الكوسه في ثواني

والقرع بقصد به الدجل والأكاذيب، أما الكوسه فيقصد بها الوساطات والمحسوبيات، والزرع يشير إلى توطن الأكاذيب، وتوطن الخلل الاجتماعي أيضاً، وهو ما يعكس معتقد المصريين في وطنهم..

■■■

16
قبل الانفجار

تم وضع حسين في القائمة السوداء بعد خروجه من المعتقل في أواخر عام ١٩٨٤م الذى اكتشف أن هذه القوائم تشمل العديد من الكتاب والصحفيين من أصحاب اللسان الطويل أمثاله..

وقد سبب وضعه في هذه القوائم معاناة شديدة له حين خروجه من مصر وعودته إليها، فقد كان يستوقف ويحقق معه ويفتش تفتيشاً ذاتياً كما لو كان مهرباً..

ولم يكن التحقيق معه ينحصر في حدود جهاز مباحث أمن الدولة وحده، بل كان يحقق معه من قبل مخابرات الأمن القومي أيضاً..

والغريب أن هذه القوائم لم تكن تضم أحداً من العناصر المتطرفة وهو ما يؤكد غباء العقل الأمني وتخلفه أو تعمده..

كان الهدف من التوقيف في الذهاب والإياب هو البحث عن الكتب والأوراق التي يخفيها معه، وبدا وكأن الأوراق والكتب بمثابة قنابل موقوتة تهددهم بالموت..

ولم يكن الأمر ينحصر في حدود التوقيف فقد كان رجال الأمن يمارسون معه العديد من الألاعيب الغبية، تارة يتركونه حتى ينتهي من جميع إجراءات السفر ثم ينادون عليه بمكبر الصوت للحضور إلى مكتب

الأمن، وتارة يتركونه حتى يدخل الطائرة ثم يقتحمونها ويأخذونه من بين الركاب، وأخرى يتعمدون تعطيله حتى تقلع الطائرة..

ومثل هذا السلوك كان يدعوه إلى التساؤل: هل لا تزال توجد حكومات تفكر بهذا العقل المتخلف ونحن في عصر ثورة الاتصالات..؟

وأدرك حسين أن المسألة ليست مسألة كتب وأوراق بقدر ما هي مسألة ضغط على العقل بهدف إرهابه..

ولم يكن الأمر ينحصر بالنسبة لحسين في حدود القائمة السوداء فقد كان كثيراً ما يستدعى لمكتب أمن الدولة ويستجوب من قبل ضباطه الأغبياء في أمور شتى..

وفي داخل مبنى أمن الدولة كان يمر على الكثير من المعتقلين المعصوبي الأعين الموثوقي الأيدي من الخلف، وهم في حالة وقوف ووجوههم للحائط بينما العديد منهم قد سقط على الأرض من شدة التعب بسبب طول الوقوف، وضباط أمن الدولة يتعمدون إبقاء المعتقل هذه الفترة الطويلة قبل المثول بين أيديهم من باب الإرهاب النفسي..

وإذا كان الهدف من عرض هؤلاء المعتقلين أمام الزائرين هو تخويفهم وإرهابهم، فما هي جدوى عرضهم أمام حسين وهو قد مر بهذه التجربة أثناء فترة اعتقاله..؟

والجواب ببساطة هو الغباء والاستخفاف بالمصريين حيث لا يجرؤ أحد أن يعلن عما يشاهده خاصة وأن الجميع يرفعون شعار: **انا مالي**..

وكان حسين أول من عرى جهاز مباحث أمن الدولة من خلال كتاب نشره في بداية التسعينيات تحت عنوان: مذكرات معتقل سياسى..

وكشف من خلاله كيف تصنع التنظيمات الوهمية في مطبخ أمن الدولة..

وكشف فيه أيضاً أساليب التعذيب التي كانت تمارس في تلك الفترة وأسماء بعض الذين قتلوا تحت التعذيب، وكذلك أسماء بعض الضباط المجرمين..

وفراعنة مصر على الدوام لا يريدون عقولاً ولا ثقافة والمثقف في منظورهم هو شاذ وخارج عن الجماعة يجب استئصاله من المجتمع أو إجهاضه وقتله قتلاً بطيئاً..

وتبين لحسين أن السبب الرئيس في وضعه ضمن القائمة السوداء هو كونه يفكر والفكر خطر لكونه يدفع إلى التحرر من عبادة العجل..

من هنا فإن الأحرار والمفكرين إذا ما أطلوا برؤوسهم فإن مكانهم معروف وهو غياهب السجون أو مستشفى المجانين..

وكم دفع حسين من ثمن ليس لمجرد كونه حراً فقط ولكن لمحاولاته الدائمة رفع رأسه في ظل بلد يسوده الفراعين المتكبرين..

ومن السخافات والتلاعب بالدين وضعهم آية قرآنية على مدخل القادمين في مطار القاهرة تقول: **أدخلوها بسلام آمنين..**

وهي آية تتعلق بأهل الجنة ولا صلة لها بالحياة الدنيا والهدف من وضعها هو طمأنة الأجانب القادمين ليدخلوها بسلام ويفعلوا ما يحلو لهم فيها..

وليس المقصود بها أمثال حسين من المواطنين المغضوب عليهم الذين عندما تطأ أقدامهم أرض المطار، يجدون رجال الأمن في انتظارهم ليقتادوهم إلى التحقيق ويستمروا محتجزين لساعات وأحياناً لأيام..

وفي مطار القاهرة حفظت ذاكرة حسين العديد من المشاهد السيئة التي تعكس إهمال المصريين وفوضاهم واستخفافهم بوطنهم..

ومن هذه المشاهد مشهد الاعتداء على بعض القادمين العرب في صالة الاستقبال من قبل رجال الأمن، ومطاردة عمال النظافة للمسافرين والقادمين من أجل بضعة قروش..

والمعارك التي تجري على باب المطار بين سائقي السيارات ورجال الأمن والعمال بسبب بقشيش المسافرين..

وقد حاول حسين محو اسمه من القائمة السوداء بالطرق القانونية دون جدوى، إذ أن مصر محكومة بقانون الطوارئ منذ اغتيال السادات، وهذا القانون أعطى لرجال الأمن حرية الملاحقات الأمنية وصلاحيات واسعة في الاعتقال لمجرد الاشتباه..

وحاولت المعارضة أيضاً التخلص من هذا القانون الذي يشكل عقبة في طريق الحريات، ويمثل سيفاً مسلطاً على أصحاب الرأي، وباءت محاولاتها بالفشل أمام إصرار الحكومة على التمسك به بحجة مواجهة الإرهاب..

وتمسك الحكومة بهذا القانون كانت له أهداف أخرى تتركز في حماية وتأمين الفرعون الحاكم الجبان الذي يحسب كل صيحة عليه..

ولقد أفسد الغناء المصري التافه الذوق العربي كما أفسدتهم الأفلام المصرية التي لا تدعو لشيء سوى للحب والغرام وتوطين التفاهة وإثبات علو المصريين وتفوقهم..

والمصري في الخارج يعيش وعينه على مصر وإذا ما تمكن من جمع شيء من المال فإنه يهرع به نحوها ليقيم فيها بيتاً صغيراً، أو يفتتح دكانًا أو يشتري سيارة يعمل عليها، وذلك كي يؤكد لنفسه وللآخرين أنه أصبح يملك شيئاً في وطنه..

وهذه هي طموحاته التي تتوافق مع طبيعته التي تخشى المغامرة من أجل الرزق، والتي تدفع به دائماً على مستوى الخارج إلى الدول التي يرى ضمان الرزق فيها، مثل دول الخليج، وليس الدول البعيدة أو المجهولة بالنسبة له، وعلى مستوى الداخل تدفع به إلى التلاصق حول شريط النيل..

وهذه الطموحات المحدودة والبسيطة إنما هي نتيجة حالة البؤس والحرمان التي تربى عليها في ظل فراعنة مصر، والتي جعلته إذا ما أمسك بكسرة خبز صغيرة فإنه يعتبر نفسه قد حقق نجاحاً، وسرعان ما يرفع لافتة تقول: **عين الحسود فيها دود** وذلك حتى لا يحسده الآخرين عليها..

والمصري الذي يكدح ليل نهار في الخارج ويتمكن من شراء سيارة ليعمل عليها فإنه يضع عليها من الخلف لا فتة تقول: **ما تبصليش بعين رديه بص للي اندفع فيه**، أي لا تنظر إلي بعين الحاسد الحقود، ولكن فكر في ثمن السيارة وكيف تمكنت من الحصول عليه..

والسودان إلى جواره مثلاً لا يفكر في الاتجاه نحوها لكونه يعتقد بعدم ضمان الرزق فيها، في الوقت الذي يحلم فيه بالحصول على عقد عمل في الكويت، أو السعودية لأنه حسب تصوره هذا العقد يضمن له الرزق هناك..

وهذه العقيدة المشوشة في الرزق التي تهيمن على عقول المصريين هي التي توقعهم في حبائل المحتالين من محترفي تزوير تأشيرات الدخول وعقود العمل في تلك البلدان..

وهو التصور نفسه الذي يدفع بالشباب المصري لدفع آلآف الجنيهات للمهربين، الذين يوهمونه بتحقيق حلمه في دخول أوربا التي يعد الرزق فيها واسعاً ومضموناً حسب تصوره..

ولو حاول هؤلاء الشباب أن يستثمروا الأموال التي يدفعونها للمهربين ويقيموا بها مشروعاً ولو صغيراً في وطنهم لكان خيراً لهم من الموت غرقاً..

إلا أن هذا لا ينفي أن هؤلاء الشباب هم ضحايا فراعنة مصر الكبار والصغار الذين احتكروا كل شيء، وأصابوه بالإحباط واليأس من المستقبل وإمكانية الحصول على العيش الكريم في بلاده..

وهم ضحايا موروثاتهم أيضاً تلك الموروثات التي وطنت في نفوسهم أن مصر دائما خيرها لغيرها، وأن سعد زغلول زعيم الأمة في القرن الماضي قال: **ما فيش فايده..**

وأدى طغيان الفراعنة الحاكمين والموروثات بهؤلاء الشباب إلى الاعتقاد بأنه في وطنه ميت وفي الخارج ميت، غير أنه بالخارج هناك أمل في أن يعيش..

والمشاهد لعشرات المصريين المتعلقين بالقطارات والمحشورين بين عرباتها من اجل توفير أجرة السفر، رغم كثرة الحوادث وسقوط العديد منهم قتلى، يدرك أن المصري يسترخص نفسه دائماً وهو ما يجعل الآخرين يسترخصونه..

والمصري المقيم في أوربا أو الحامل لجنسية دولة أوربية على الرغم من كونه يعيش في مجتمع حر، إلا أنه يعيش فيه بعقل العبيد، وهو ما يفسر تقاعسه وخوفه من أن يحرك تظاهرة احتجاج ضد فراعنة مصر، أو يشارك فيها أو حتى يتحرك لتنبيه الشعوب الأخرى لما يجري في وطنه الأم..

ومما يدل على سذاجة المصريين واندفاعهم نحو الرزق السهل ما عرف بظاهرة شركات توظيف الأموال، تلك الشركات التي أعلنت عن

فوائد عالية وكبيرة من أجل جذب رؤوس الأموال إليها، مستخدمة الشعارات الإسلامية التي تمثل جاذبية كبيرة للمصريين، الأمر الذي دفع بهم نحو هذه الشركات طمعاً في فوائدها العالية التي تجاوزت فوائد المصارف بكثير..

وقام البعض بسحب أمواله من البنوك ووضعها في هذه الشركات وقام البعض الآخر ببيع أرضه وعقاراته واستثمار ثمنها فيها حتى أن العاملين في الخارج ألقوا بمدخراتهم في دائرتها..

وشكلت هذه الشركات خطراً كبيراً على المصارف والمستثمرين وتوجست منها الحكومة خيفة، مما دفع بها إلى تصفيتها، لتضيع أموال الناس الذين انطبق عليهم المثل القائل: **الطمع يقل ما جمع** وهو هنا أضاع ما جمع..

وسقط العديد من أصحاب الأموال موتى بالسكتة القلبية، ولم ترد الحكومة الأموال لأصحابها إلا بعد عدة سنوات، وبالطريقة التي حددها الفراعنة الكبار، الذين استولوا على هذه الأموال واستثمروها لأنفسهم، ثم ردوها لأصحابها على هيئة سلع معمرة بأسعار ضعف سعر السوق تباع لهم إجبارياً، وذلك بالاتفاق مع الشركات المنتجة والمسوقة لهذه السلع والتي احتفظت لهم بعمولتهم بالطبع..

■ ■ ■

17
الفرار

كانت آخر أيام حسين في مصر من أصعب أيام حياته إذ اشتدت عليه الضغوط المعيشية والضغوط الأمنية، بالإضافة إلى ما كان ما يجري حوله من صور الفساد والانحطاط واللامبالاة..

كانت الصحف المستقلة والقنوات الفضائية قد قاطعته بسبب آرائه التي لا تحتملها هذه الصحف والقنوات ولا ترضي الجهات التي تقف من ورائها..

وكان مصدر رزقه الوحيد ينحصر في تجارة الكتب من خلال دار النشر الخاصة به والتي توقفت أيضاً، بعد أن وقع في براثن المحتالين والنصابين الذين يكتظ بهم سوق الكتاب، ومنهم الكثير من أصحاب اللحى الطويلة والجلاليب القصيرة..

وسوق الكتاب في مصر يسيطر عليه التيار السلفي الوهابي المدعوم من الخارج، والذي تمكن من إغراق السوق المصري بكم هائل من الكتب التراثية التي تخدم توجهاته، والتي أسهمت في تغييب عقول الشباب وتشويه الإسلام وإضفاء المشروعية على التطرف..

ورغم صيحات البعض بضرورة التصدي لهذه الكتب ومنعها لم تحرك الحكومة ساكناً، خاصة بعد تبين أن الفتوى التي استبيح دم

السادات على أساسها نبعت من كتب ابن تيمية التي يركز علي نشرها هذا التيار..

كانت الحكومة تسير على سياسة السادات الذي أوجد هذه الجماعات ودعمها من أجل تطويق اليساريين والناصريين، وتستخدمها الحكومة اليوم بعد إضعاف التيار اليساري من أجل إرهاب المسيحيين والمثقفين والمعارضين..

والطريف أن الذين نصبوا على حسين من الإسلاميين وسرقوه كانوا يفعلون ذلك بدوافع شرعية، بررت لهم استحلال أمواله بصفته من المشركين الضالين والمبتدعين في منظورهم..

وأصبح حسين بلا دخل ومحارب من الجميع ولم يعد له مكان بين المثقفين ولا بين العامة، وبدأ يشعر أن وجوده في مصر لم تعد له أهمية، مما أوجب عليه التفكير بسرعة الرحيل منها قبل أن يجن أو يلقى حتفه على يد رجل أمن متهور..

أو يلغي عقله ويقبل العيش على الفتات كبقية المصريين في ظل حاكم غبي بليد الحس لا يبالي بهم ولا يعنيه أمرهم، وهو يعيش في واد والشعب في واد آخر ومن طول فترة حكمه تصور أن مصر لن تعيش بدونه..

وهو قد أصبح يمثل عبئاً كبيراً على ميزانية الدولة بسبب نفقاته الباهظة خاصة ما ينفق من أجل حمايته وراحة حضرته، وما ينفق أكثر من أجل الحفاظ على صحته المتدهورة، وقد أصابت لعناته جميع طبقات المصريين عدا أنصاره من الفراعين..

وفي ظل هذا الحاكم البليد الحس والقليل الفهم انهارت الشخصية المصرية في عصره انهياراً لم يحدث لها من قبل وهو ما يشير إلى ضعفها وهشاشتها..

ويظهر ذلك بوضوح من خلال صور الجريمة التي تجري على ساحة المجتمع المصري اليوم..

ومن خلال التفاوت الطبقي الرهيب الذي حول المجتمع المصري إلى طبقتين لا ثالث لهما:

طبقة عليا غاية في الترف والثراء..

وطبقة سفلى فقيرة مسحوقة..

ومن خلال الفضائح التي تنشرها الصحف المصرية ما بين الحين والآخر..

ومن خلال الحفلات الماجنة التي يقيمها المترفون وينفقون فيها ملايين الجنيهات..

ومن خلال نهب البنوك الوطنية وسرقة الآثار وتهريب المخدرات..

ومن خلال استيراد اللحوم الفاسدة والقمح الفاسد للشعب الجائع..

ومن خلال استيراد النفايات النووية ودفنها في مصر..

ومن خلال الاتجار بالنساء في مجال الإعلانات والرقص والدعارة..

ومن خلال الاتجار بالأطفال..

ومن خلال تصعيد السفهاء وتسليط الأضواء عليهم وإجهاض العقلاء وتدمير الكفاءات..

ومع ظهور الصحف غير الرسمية والقنوات الفضائية هرع كل من هب ودب نحوها من باب أكل العيش واصطياد الرزق أو خطفه كما هو حال المصريين دائماً..

وكثرت السفاهات والفضائح على صفحات هذه الصحف وفي دائرة هذه القنوات التي تم صبغها بصور المجون والتفاهة واللهو..

وازدحمت مصر بالآلاف من المطربين والمطربات والراقصين والراقصات الذين هرعوا نحوها من الخارج من أجل أن يثبتوا وجودهم فيها..

وازدحمت أيضاً بالكثير من مدعي الثقافة والكتابة ولصوص الكتب والأعمال الفنية المنتشرين في الساحة الثقافية والفنية، والعديد منهم أصبح من الأسماء اللامعة في مجال الكتابة و السينما والمسرح والموسيقى اليوم..

ووصل الأمر بحسين إلى أنه أصيب بحالة من الاكتئاب واعتكف في بيته فكان لا يخرج إلا نادراً لشراء حاجاته الضرورية، ويتجنب الخروج ليلاً خوفاً من الاصطدام برجال الأمن الذين ينصبون متاريسهم بالطرقات، ويستوقفون المارة ويحققون معهم بطريقة استفزازية..

ورجل الأمن المصري كان يتعمد إهانة المواطن وهو متيقن بخنوعه وعدم وجود رد فعل من قبله، وإذا ما حدث ووجد من يعترض عليه فإنه سرعان ما يفرغ عقده فيه وينتقم منه بالقبض عليه لتأديبه كي يسير بعد ذلك مع القطيع بانتظام..

ولا ينسى حسين يوم أن كان راكباً حافلة النقل العام في طريقه لمسكنه إذ بسيارة شرطة تقل ضابطاً تقطع الطريق على الحافلة فيحاول السائق تجنبها إلا أنه اصطدم بمؤخرتها..

ولم يحدث التصادم أثراً يذكر لكن الضابط انتفض من سيارته مندفعاً نحو الحافلة ليكيل للسائق شتى أنواع الشتائم واللكمات، ثم صادر رخصته وأوراقه وأمره بالسير من وراءه، وسارت الحافلة بركابها وراء سيارة الضابط حتى قسم الشرطة لتحتجز بركابها عدة ساعات حتى تم الإفراج عن السائق..

وكان حسين جالساً في الحافلة يتميز من الغيظ ليس فقط من تصرف هذا الضابط وإنما من جبن الركاب وتخاذلهم..

ويوماً رأى في أحد الميادين العامة مشادة بين صاحبي سيارتين تطورت إلى خروجهما من سيارتيهما والتشابك بالأيدي مما أدى إلى تعطيل المرور..

والمهم في هذا الحدث هو أحد المتعاركين كان من رجال الأمن وحتى ينهي المعركة أخرج مسدسه وشهره في وجه خصمه، ثم تدارك أمره وأخذ يضربه بكعب المسدس على مشهد من المارة ورجل المرور، حتى إذا ما شفى غليله منه عاد إلى سيارته وانطلق بها من المكان..

وما زاد من الضغط والهم على حسين أنه فوجأ بالعديد من العناصر الإسلامية، التي شاركته العمل أيام الجماعات قد دخلوا عالم الأثرياء، وأصبحوا من ركاب السيارات الفارهة ببركات النفط ومكافأة لهم لثباتهم على طريق السلف الذي ارتد عنه..

وكان واحداً من هؤلاء عاملاً في أحد المطاعم وتم تجنيده من قبل جهاز الأمن ليتجسس على الجماعات، ثم وجهوه نحو الشيعة، وقام بالنصب على أحد رجال الأعمال من الشيعة العرب واستولى منه على مبلغ كبير من المال..

ثم يسروا له الدخول لمجلس الشعب فكان يقوم بالتجسس على المعارضة لحساب الحكومة، ونظراً لخدماته تم تزكيته من قبل الفرعون المخلوع، وحين أصابه مرض عضال أصدر قراره ليتم علاجه في الخارج على نفقة الدولة..

ورأى حسين الكثير من الدعاة الجدد التافهين قد أصبحوا من أصحاب الملايين ويعيشون في قصور وفي عصمتهم العديد من النساء..

والعديد من المثقفين الفارغين أقاموا مؤسسات ومراكز بحثية وهمية ترفع شعار حقوق الإنسان، والدفاع عن المرأة وتنمية المجتمع، وغير ذلك من أجل الاحتيال على المؤسسات في الخارج والحصول على المعونات..

والكتاب والسياسيين والمثقفين من الحزبيين والمستقلين لم يعد لهم دور سوى الكلام والقيل والقال أوالرغي على حد تعبير المصريين..

و الكثير من السوقة والأراذل قد تحولوا إلى مطربين مشهورين على الرغم من افتقادهم للصوت أو الصورة..

منهم عامل بسيط كان يعمل في دكان كوى لا يجيد القراءة والكتابة ولا يفقه في أي شيء، وأصبح اليوم محل تهافت السينما والمسرح والصحف والقنوات الفضائية..

والعجيب أن المصريين الكادحين الذين يشكون الفاقة والحرمان هم الذين يرفعون هؤلاء السوقة والأراذل، ويحولونهم إلى سادة وكبراء بالتهافت على أغانيهم الهابطة والتصفيق لهم ليل نهار، وهم في حقيقة الأمر يحسدونهم على ما هم فيه من ثراء وترف، وهو ما يؤكد السنة التاريخية للمصريين الذين يصنعون فراعنتهم بأيديهم ثم يلعنوهم..

ورأى حسين فوق ذلك أن جميع الطبقات العليا في مصر اليوم من الأثرياء وأصحاب الملايين والمليارات، وهى تتكون من رجال الأعمال والمسئولين ورجال الأمن والجيش والسياسة، وأعضاء مجلس الشعب وكبار الصحفيين والمطربين والممثلين والراقصات..

قطاع السياسيين وأعضاء مجلس الشعب وكبار الصحفيين جمعوا أموالهم عن طريق الابتزاز والمصروفات السرية وعطايا الحكومات..

ورجال الأمن والجيش استغلوا نفوذهم في تمرير الصفقات غير المشروعة وتهريب المخدرات بالإضافة إلى ما يتلقونه من مكافآت..

ورجال الأعمال فتحت لهم الأبواب على مصارعها للصفقات المشبوهة والنصب على البنوك، وتهريب الأموال للخارج وإقامة المشاريع الوهمية خاصة من كان يعمل منهم لحساب ابن الفرعون..

والمسئولين يتقاضون العمولات والرشاوى لتسهيل نشاطات رجال الأعمال..

والممثلين الذين كانوا يطلق عليهم في الماضي اسم المشخصاتية، وهم موضع احتقار الناس ولا تقبل شهادتهم في المحاكم، ولا تقبلهم العائلات كأزواج لبناتهم، أصبحوا من علية القوم وأجورهم ملايين الجنيهات..

والمطربين جمعوا ثروات طائلة من وراء الغناء..

والراقصات دخلن عالم المليونيرات من وراء هز أجسادهن ورفع سيقانهن في مصر وخارجها، وأيضاً من وراء الحفلات الخاصة التي يقيمونها في قصور الأثرياء من المصريين والعرب..

كانت أزمة حسين تكمن في ثباته على المبدأ..

وهو لم يربح شيئاً من كتاباته ومن الإتجار بالكتب بل خسر كثيراً..

وكل ما استطاع تحقيقه شقة صغيرة في أحد الأحياء الشعبية في مدينة الأسكندرية..

لم يحتمل حسين كل هذا..

ولم يحتمل تهكم خصومه عليه..

وفوق هذا ضغوط جهاز أمن الدولة..

وأيقن أن مصر يسكنها الشيطان وأنه لا مكان له فيها..

وقرر نشر تجربته إلا أنه أدرك أن نشر تجربته هذه سوف يجر عليه المتاعب..

ولن يتسامح معه فراعنة مصر..

وهو ما دفع به إلى اتخاذ قراره بالرحيل من مصر لينشر ما دونه في الخارج..

ولعل ردَّ الفعل تجاه ما كَتبَ يحتاج إلى روايةٍ أخرى..

■■■

18
العودة

عاد حسين إلى مصر بعد سقوط الفرعون العجوز كما كان يسميه..

وبعد غيبة ثلاث سنوات قضاها لاجئاً تحت حماية الأمم المتحدة..

عاد إلى رصد الواقع المصري من جديد طارحاً سؤاله التقليدي : هل رحل الشيطان من مصر حُقاً بعد ما حدث..؟

هل تغيرت الشخصية المصرية..؟

إلا أنه حين عودته تلقى عدة ضربات موجعة..

وجد أن شقته بالاسكندرية قد بيعت من قبل (الأشراف) بعد تيقنهم من عدم عودته..

وضاع أثاثه وحاجياته وأوراقه..

ثم تلقى ضربة أخرى تمثلت في سرقة مدخراته وجهاز الكمبيوتر الخاص به والذي كان يحوي كل ملفاته وأعماله..

كل هذا أدخله في دوامة شغلته لفترة عما يجري في الساحة..

وأصابته بحالة من اليأس والإحباط بعد أن أصبح بلا مأوى خاصة بعض أن وجه إليه بعض أصدقائه ومعارفه القدامى اللوم بسبب عودته..

وتذكر حسين مسئول مكتب مصر للطيران في دمشق الذي نصحة وهو يقوم بإجراءات الحجز بعدم العودة لمصرفي الفترة الراهنة..

إلا أن حسين كان لديه الأمل في أن يصنع شيئاً في مصر بعد سقوط نظام مبارك..

على الرغم من أن الساحة المصرية ازدحمت بالعديد من اللافتات والشعارات والجهات المشبوهة وتيارات كثيرة برزت من الظلام..

وفلول النظام السابق لازالت ترعى بقوة في الساحة بلافتات وشعارات جديدة..

وهى لن تفسح الطريق بسهولة أمام موجة التغيير ولابد من أن تقوم بافتعال الحوادث التي تخدم أغراضها ومصالحها..

والناس أو الأكثرية الصامتة تتشكك فيما يجري وهى في حالة تيه شديد ولاتملك القدرة على التمييز ومعرفة حقيقة ما يجري..

والجماعات الإسلامية التي كانت مكبوتة منذ عقود طويلة برزت بقوة في محاولة لركوب الموجة والسيطرة على الساحة..

والدعم الخارجي أصبح شبه علنياً للتيارات السياسية والإسلامية والأحزاب..

ووجد بالإضافة إلى ذلك أن الدور السعودي قد برز بقوة وبرز معه الدور الإيراني..

وأن الشريف المدعي صاحب الفضائح الذي نصب عليه وسرق إخوته شقته قد سافر إلى إيران مرتين بدعوة رسمية..

وأن السعودية تدعم بقوة بعض الشخصيات المرشحة للرئاسة ومجلس الشعب..

وكـذلك إيران قـامـت بدعم بعض الطـرق الصـوفـيـة والشـيـعـة وحـتى الإخوان..

وأن واحـداً من الشيعة الطمـوحين من طالبي الزعـامة قد سافـر إلى إيران عدة مرات وتلقى أموالاً لتأسيس حزب شيعي..

هذا بالإضـافـة لما تتلقاه هيئات المجتمع المدنـي والصـحف والقنوات الفضائية..

من هنا أصـبح حسـين لا يفـرق بين الخطر السـعودي والإيـراني على مصر..

كان حـسين يحمل العـديد من الأفكار والمشـاريع إلا أنه لم يـفكر في طرحها لتوجسه مما يجري حوله..

تبين له أن الشخصيـة المصرية لم تتحـرر بعد من ثقافة الشعارات وهي تحتاج إلى بعث جديد..

وأن الواقع غير مهيأ لممارسة العمل السياسي..

وأن غيـاب الرأس عمـا جـرى ويجـري هو السـبب المباشـر فـي حـالة الفوضى والارتباك التي تسود الساحة في مصر الآن..

وأن المصـريين لازال شـغلهم الشـاغل هو لقـمـة العـيش وتحـسين أوضاعهم المعيشية وهو المسيطر على تصوراتهم وعقولهم..

وهو الأمر الذي يجب أن تتـركز من حوله الجـهود في المرحلة الراهنة لا الانشـغال بالشـعارات وتكوين الأحـزاب، وتصـفيـة الحسـابات والتسـابق على مقاعد مجلس الشعب، والتـي قد تؤدي في النهاية إلى إنتاج فرعون جديد يضاف إلى فراعنة مصر السابقين..

إن ثروات مـصر - وهـي هـائلة - تحـتـاج إلى إدارة واعية لاسـتثـمارهـا وتوزيعها بالعدل على الفقراء والمحتاجين..

وتحتاج إلى تحجيم دور أصحاب رؤس الأموال الذين يريدون إدارة الاقتصاد المصري بما يخدم مصالحهم لا مصالح الجماهير الكادحة..

وتحتاج أيضاً إلى إعادة تشخيص وتقويم الواقع المصري من جديد..

وفض الاشتباك بين الشمال والجنوب..

إن السيطرة الدائمة على السلطة ومقدرات الأمور في مصر تركزت في الشمال أو الوجه البحري منذ قرون طويلة، حتى أصبح هو مركز الصدارة والتوجيه فيها..

وهو ما أدى إلى الإهمال المتعمد للجنوب (الصعيد) أو الوجه القبلي الذي اتخذوه سخرياً ولازالوا حتى اليوم يستعلون عليه ويستخفون بأهله..

إلا أن القارئ المدقق لتاريخ مصر يكتشف بوضوح مدى عظيم الدور الذي لعبه الصعيد والرموز التي خرجت منه وتركت بصمة بارزة في تأريخ مصر وواقعها..

وسيراً مع المثل المصري (شعب يخاف ولا يختشيش) اضطر نظام الحكم السابق إلى توجيه بصره نحو الصعيد بدوافع أمنية بعد تصاعد عمليات الجماعة الإسلامية ضد رجال الأمن هناك..

لإجل هذا آمن حسين أن الجنوب لا يحمل تلك الشخصية السلبية المليئة بالتناقضات التي تبرز بوضوح في الوجه البحري,مما يوجب أن يعود لدوره ومكانته,وأن يقود مصر في المرحلة القادمة..

وأن تأريخ مصر بدأ منه..

ونهضة مصر يجب أن تبدأ منه..

وأن الولد الذي لا تزال تبحث عنه مصر ربما يبرز من خلاله..

■ ■ ■

من إصدارات الكاتب

- السيف والطاغوت: الحركة الإسلامية في مصر..
- أغلال وسياط : مذكرات معتقل سياسي..
- زواج المتعة حلال..
- الكلمة والسيف: محنة الرأي في تاريخ المسلمين..
- العقل والنقل : أزمة الشيعة والسنة..
- السيف والسياسة : الصراع بين الإسلام النبوي والإسلام القبلي..
- فقهاء النفط : رآية الإسلام أم رآية آل سعود..
- فراعنة وعبيد : مصر الوجه الآخر..
- تغيير الخطاب الإسلامي : تصحيح التسنن والتشيع..
- ثقافة الإرهاب : في كتب السلفية الوهابية..
- دفاع عن الرسول : ضد الفقهاء والمحدثين..
- مدافع الفقهاء : التطرف بين فقهاء السلف وفقهاء الخلف..
- أكاذيب السلفية الوهابية..
- دماء وأغلال : الإرهاب بين الإسلام والمسلمين..
- الإسلام الضائع : بين الفرق والحكومات..
- أهل البيت ومصر..
- السلفيون ومصر..